

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

كلية الأدب العربي



عنوان المذكرة

الموت في شعر أبي العلاء المعري ديوان "لزوم ما لا يلزم" - أنموذجا -

مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إشراف:

أ. خليفة مبارك.

اعداد:

✓ سمير لهمايسي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
د/ يوسف قليل	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
أ/ خليفة مبارك	أستاذ محاضر "ب"	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
د/ سعيدة خلوفي	أستاذ مساعد "أ"	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ مَسْكُونٍ
إِذْ أَمَرْنَا الْمَلَائِكَةَ
سُجَّدُوا لِلْإِنسَانِ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ
نُوحٍ الْعَهْدَ وَأَنَّهُ
يَكْفُرُ بِالْآلِهَةِ
فَكَفَرُوا فَجَعَلْنَاهُمْ
لِقَوْمِهِمْ آيَةً
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ
مُوسَى الْبَيْعَ أَن يَحْبِسَ
أَقْمِسُوا لِي وَأَقْمِسُوا
لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَامَ
صَالِحٌ وَكَانَ إِخْوَتُهُ
كُفْرًا يَدْعُونَ إِلَى
تَالُوتَ فَإِذْ هُوَ
أَمْشَى بِالْبَنِي إِسْرَائِيلَ
وَعَرَا فِي سَبْعِ مَدَائِنَ
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلًا
يَقْرَأُ كِتَابَ الْغُفْرَانِ
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَلْيَكْذِبْ
وَمَا يَضُرُّكَ مَا يَفْعَلُونَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ مَسْكُونٍ

شكر وعرfan

لئن شكرتم لأزيدنكم به" إبراهيم، الآية: 07.

الحمد والشكر لله العلي العظيم الذي وفقنا وأعاننا، والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا، وأهمننا بنعمة الصبر والمثابرة لنتم

هذا العمل، وما كان ليتم إلا بفضلله وتوفيقه، نحمده ونشكره شكرًا يليق بجلال ووجهه وعظيم سلطانه.

ولهذا أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان والعرfan إلى أستاذي المشرف "خلفة مبارك" لتكريمه بالإشراف على

دراستنا ولما قدمه لنا من إرشادات وتوجيهات ثمينة وقيمة ساهمت في إخراج هذا البحث على هذه الصورة.

كما نتوجه بالشكر إلى اللجنة التي ستفحص هذا البحث، المتكونة من د. "يوسف قليل" رئيسا، أ. "خلفة مبارك"

مشرفا، ود. "سعيدة خلوي" ممتحنا، طالبا من الله عز وجل التوفيق والسداد.

كما نتقدم بالشكر أيضا إلى كل من كان عوننا لنا في إنجاز هذا البحث من أساتذة كرام

وأصدقاء والطلبة المقربين بدون استثناء الذين ساعدونا ووقفوا معنا طوال هذه المرحلة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هدا إلى اللذين قال فيهما الله عز وجل "وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا"

إلى أعذب وأرقى كلمة في الكون، الى رمز العطاء والحب والحنان، امي الغالية

إلى كل من أنار دربي وآمن بنجاحي ومنحني كل الثقة

الشكر موصول إلى كل معلم أفادني بعمله من أول المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة وبالأخص الأستاذ المشرف

خلفة مبارك كل الشكر له والتقدير، وإلى كل الذين حاولوا إطفائي أهدي لكم هذا العمل وأخبركم أي قد توجهت

إلى كل من يبحث عن المعرفة بين ثنايا هذه المذكرة إلى كل من نساه قلبي ولم ينساها قلبي أهديكم هذا العمل راجيا

من المولى عز وجل القبول والنجاح.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

قائمة المختصرات

الرمز	المقصود به
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ج	جزء
د. ت	دون تاريخ للنشر
د. ط	دون طبعة
م	ميلادي
تح	تحقيق
مج	مجلد

مقدمة

مر الأدب العربي بعدة مراحل عبر مختلف العصور ابتداءً بالعصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي الذي شهد تحولاً مميزاً و تطوراً ملحوظاً في كل المجالات، لاسيما المجال الأدبي، هذا المجال الذي يثير لنا دوماً الطريق، ويساعدنا على وجه من أوجه الحضارة، و الدراسة هذه لم تكن إلا لإماطة اللثام و إظهار بعض الجوانب الخفية، ومحاولة لتسليط الضوء على بعض الجوانب و المواضيع، من مثل الموت في شعر أبي العلاء المعري ديوان لزوم ما لا يلزم أنموذجاً، فمن دون شك هذا الموضوع مهم في لزوميات المعري، فقد قام الكثير من الأدباء و النقاد بدراسته و تحليله، وهذا ما وجد في الكثير من الكتب، وكثرة الدراسات حول هذا الشاعر وشعره، إلا أنني أردت أن أقدم إضافة و لو قليلة للموضوع، وهذا لأهميته خاصة بالنسبة لنا كمسلمين، و محاولة إبراز بعض النقاط التي لم يتم تناولها من قبل، كما أن شغفي بالمواضيع الدينية كان سبباً مباشراً في اختيار الموضوع، فالميل الشخصية هي أحد الأسباب الذاتية التي تدفع الباحث للخوض في موضوعه المختار، إضافة إلى طبيعة التخصص الذي يفرض موضوعاً لشاعر في فترة زمنية محددة.

لهذه الأسباب اتجهت لدراسة موضوع الموت في شعر أبي العلاء المعري ديوان لزوم ما لا يلزم أنموذجاً، خاصة وأن هذه الدراسة ستمكننا من التعرف على موضوع الموت عند الشاعر، ومعرفة رأي الدين، وتمكننا من التعرف على ديوان المعري وهو اللزوميات بجزئيه، وتساهم في إثراء المكتبة الجامعية، وقد طرحت جملة من التساؤلات تشكل جوهر إشكاليته وهي:

- ما هو مفهوم اللزوميات؟ وما هي القيود والكلف التي وضعها المعري في لزومياته؟
- ما هو تعريف الموت لغة واصطلاحاً؟ وكيف كان هاجس الموت في الأدب والفلسفة؟ وما هو تعريفه في القرآن والسنة؟

- ما هي منابع فلسفة المعري؟ وما هي العوامل التي أثرت في شعره؟

- ماهية الموت وصفاته من خلال اللزوميات؟

والإجابة على هذه الأسئلة شكلت بدورها هذا البحث الذي سار وفق خطة تمثلت في: الفصل الأول تحت عنوان مقارنة في مفهوم لزوميات والموت الذي يحتوي قسمين القسم الأول بعنوان تعريف ديوان لزوم ما لا يلزم والقسم الثاني يحمل عنوان مقاربه في مفهوم الموت ويحوي ثلاث عناصر، أولا مفهوم الموت ثانيا هاجس الموت في الادب والفلسفة، ثالثا الموت في القران الكريم والسنة النبوية. الفصل الثاني تحت عنوان البعد الوجودي للزوميات ويحتوي قسمين، القسم الاول يتحدث عن المنابع فلسفه أبي العلاء المعري ويحوي اربعة عناصر والقسم الثاني يتحدث عن العوامل التي اثرت في شعر ابي العلاء المعري ويحوي على ثلاث عناصر. الفصل الثالث تحت عنوان ماهية الموت وصفاته من خلال لزوميات المعري ويحوي ثلاث اقسام القسم الاول بعنوان ماهية الموت عند المعري من خلال لزومياته ويحتوي ستة عناصر القسم الثاني بعنوان ثنائيه الموت والحياة في لزوميات المعري ويحوي عنصرين العنصر الاول دم الحياة دم الحياة وشقائها العنصر الثاني راحة الموت القسم الثالث بعنوان صفات الموت في لزوميات ابي العلاء المعري ويحوي عنصري العنصر الاول صفات الموصل الإيجابية والعنصر الثاني صفات الموت السلبية.

ثم جاءت الخاتمة التي كانت عبارة عن خلاصة وحوصلة لأهم النتائج المتحصل عليه في البحث وكذا قائمه المصادر والمراجع، وبما إن لكل دراسة منهج تسيير وفقه فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الموضوعاتي لأنه يستوعب مواضيع فرعيه تنتمي إليه وتحدرد منه هذا لا يقف حاجزا يمنعنا الاستفاده من مناهج أخرى وأدوات إجرائية تخدم البحث كالتحليل الذي سنعتمده في عملنا أما المصادر التي اعتمدتها:

طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه

طه حسين تجديده، ذكرى أبي العلاء.

كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري

أبو العلاء المعري: لزوم ما لا يلزم

هدى محمد قزح التجربة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعري الموت أنموذجا

عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي.

وأخيرا وجب علي ذكر العراقيين التي واجهتني في عمليه البحث مثل صعوبة الحصول على المراجع التي تخدم البحث وتشكل منها المادة البحثية وكذلك عدم توفر الوقت الكافي بالنسبة لي كوني اعمل كموظف، إلا أن هذه الصعوبات لم تكن عائق باستمرار بحثنا، فقد أعطانا الأستاذ المشرف "خلفة مبارك" يد العون والمساعدة من خلال اتصالاته المتواصلة وتقديم النصائح والتوجيهات القيمة، فله كل الاحترام والتقدير والشكر الجزيل.

الفصل الأول: مقارنة في

مفهوم اللزوميات والموت

تعريف ديوان لزوم ما لا يلزم للمعري

إن ديوان لزوم ما لا يلزم عبارة عن ديوان كبير مرتب على حروف المعجم، يذكر كل حرف بوجهه الأربعة: الضمة والفتحة والكسرة والسكون، ومعنى لزوم ما لا يلزم أنه يلتزم قبل الروي حرفاً إذا غير لم يكن مخلاً بالنظم قال في خطبته إنه ذكر فيه ما هو تمجيد الله الذي شُرف عن التمجيد أو التذكير للناسين، وتنبية الغافلين، أو تحذير من الدنيا ... طبع بالهند سنة 1303 وبمصر سنة 1891-1895 م⁽¹⁾.

فإذا ديوان لزوم ما لا يلزم ... مرتب بحسب الحروف، فكل روي فيه يكون بالضمة وبالفتحة وبالكسرة وبالسكون، كما أنه إذا غير الحرف الذي قبل الروي كان ذلك لا يخل بالنظم، ولعل ديوان لزوم ما لا يلزم الوحيد بين دواوين العرب القدماء الذي ينطلق من حياة الإنسان وشؤون المجتمع وإن من زاوية خاصة طغى عليها روح الزهد والتشاؤم فأبو العلاء خلافاً لمن سبقه وعاصره ولحقه من زملائه القدماء، لم ينطلق في شعره من قصور الحكام وميادين المحاربين، بل من أوساط الشعب المغلوب على أمره والراخ تحت وطأة الفقر والظلم والابتزاز فعالي في تصوير مآسيه⁽²⁾.

وبما أننا قلنا بأن ديوان لزوم ما لا يلزم طغى عليه روح الزهد فينبغي لنا أولاً أن نشرح ماذا تعني كلمة الزهد فالزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء وهو بغض الدنيا والإعراض عنها وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة⁽³⁾.

فالمعري إذا انطلق في لزومياته من الشعب البسيط وراح يصور حياته ويعبر عن مجتمعه ولئن بلغ به التشاؤم حد اليأس من إمكان الإصلاح، فلأن عدوى الفساد فيما بدا له، فكانت قد امتدت في عهده إلى من كان يتوسم فيهم

(1) - أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه وأخباره وشعره ومعتقده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د، ط) 1940، ص ص 73، 74.

(2) - أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د.ط، 1924م، ص 7.

(3) - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص 49.

القيام بأعباء الإصلاح من أرباب الدين والدنيا فكان من ثم إثارة للموت على الحياة ودعوته إلى انقراض الجنس بالإمساك الاختياري عن النسل⁽¹⁾

فعندما وصل الانحلال الخلقي والفساد إلى من كان لهم الحق في إصلاح المجتمع كره المعري الحياة وأصبح يطلب الموت ويدعوا إلى تحديد النسل وانقراض الناس والجنس فاللزوميات إذا هي شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته، بعد رجوعه من بغداد فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل، ولم يكن من الحق عليه التزامها، وإنما آثارا حين راض نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه. فالتزم في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين، أي أن يلتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية⁽²⁾.

إلا أن أبو العلاء المعري ليس هو أول من اخترع هذا الفن بل هناك من سبقه إلى ذلك بل قد سبقه إليه

كثير في تائيته التي مطلعها:

خليلي هذا ربع عزه فاعقلا قلوا صيكما ثم ابكيا حيث خَلَّتِ⁽³⁾.

فكثير إذا هو الذي اخترع هذا الفن إلا أن العرب لم يقلدوه في ذلك لما يلقي الشاعر من صعوبة في ذلك فأقبل أبو العلاء بعده بثلاث قرون فالتزم طريقته ونظم عليها ديوانا ضخما، بالغ في التحرج حتى أخذ نفسه باستيفاء حروف المعجم كافة وما يلحقها من الحركات والسكون، فلكل حرف أربعة فصول إلا الألف فإنها لا تكون إلا ساكنة⁽⁴⁾.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص07

(2) - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، مصر، ط6، 1963م، ص ص 203، 204.

(3) - المرجع نفسه، ص204.

(4) - المرجع نفسه، ص204.

كما أن المعري في هذا الديوان أو الكتاب كان بعيدا كل البعد عن الكذب والمجاملة، حيث نستطيع أن نستنتج

من كل ما سبق أن المعري تكلف في هذا الديوان ثلاث كلف

الأولى: أنه ينتظم حروف المعجم جميعها.

الثانية: أن يجيء رويه بالحركات الثالث، وبالسكون بعد ذلك.

الثالثة: أن لزوم مع كل روي شيئا لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف⁽¹⁾

إلا أن هذا الديوان فيه الكثير من الأسرار والتفسيرات النفسية فهو يعكس حالة أبي العلاء المعري ونفسيته ذلك أن

لزوم مالا يلزم يعبر عن ظاهرة نزعة باطنية بما فيه من رويين ظاهر وباطن، وعرفنا أنه اعتزال بالقافية وأخذ لها بطائفة

الوسائل القاسية الصعبة. وعرفنا من سيرة المعري أنه أخذ نفسه بمثل هذه الوسائل الضمنية. فكان في محبين مثلما

هي في رويين، إذا فهو القافية الملتزم فيها، أي المتوحدة مثلما كان متوحدا.... فالمتوحد ينبغي يأنس بكل ما

يضطرب في نفسه، ويأنس طويلا بتحليله، ويتمهل أيضا على مختلف وجوهه وأوضاعه⁽²⁾.

إذا فالمعري من خلال ديوانه لزوم ما لا يلزم يقصد مقاصد أخرى باطنية تعبر عن حاله، فمثلا عندما نظم أشعاره

في رويين فذلك يرجع لأنه رهين محبين، العمى والبيت، كما أنه جعل من القافية قافية متغيرة عن غيرها من القوافي

وحملها أشياء صعبة وذلك إنما يرجع لحاله ومعيشته الصعبة القاسية التي يعيشها كما أنه جعل القافية وحيدة معتزلة

عن غيرها من القوافي من خلال تحميله لها بقوانين جديدة، كما أن المعري بأعماله هذه كان يشعر براحة واستئناس

لأنه يعكس ما بداخله ويريد تحليل ذلك.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص37.

(2) - أبو عبد الله العاليلي، المعري ذلك المجهول رحلة في فكره وعالمه النفسي، دار الجديد، ط3، 1995، ص ص 10، 103.

مقارنة في مفهوم الموت

أولاً: مفهوم الموت

إن الدراسات الحديثة تقتضي من أي باحث إذا ما أراد أن تكون دراسته قائمة على منهج علمي، فما عليه إلا الانطلاق من المعاجم اللغوية، التي تعد بمثابة المصادر الرئيسية والمفاتيح الأولية التي تلج من خلالها إلى حقيقة المصطلحات في شتى حقول المعرفة، ومن هنا لا يمكننا استيعاب دلالة مصطلح "الموت" وفهمه فهما دقيقاً إلا بالعودة إلى جذرها اللغوي الذي اتفق عليه معظم اللغويين العرب.

1-1- الموت لغة

جاء في لسان العرب: في مادة "موت" الموت خلق من خلق الله تعالى والموت والموتان ضد الحياة، والموات بالضم: الموت مات يموت موتاً، ويمت وقيل الميت الذي مات والموت السكون وكل من سكن فقد مات وهو على المثل، وماتت النار موتاً برد رمادها، ومات الرجل: همد، وماتت الريح: ركبت وسكنت، وماتت الخمر: سكن غليانها وقيل: الموت في كلام العرب يطلق على السكون، وعليه فالموت عند ابن منظور السكون والركود⁽¹⁾.

أما في المعجم الوسيط فقد ورد مصطلح "الموت" بمعنى: مات الحي موتاً فارقت الحياة، والشيء: همد وسكن والنار: بردت، والطريق القطع سلوكه، والأرض مواتا: خلت من العمارة والسكان فهي موات. والموت ضد الحياة والممات الموت، والموات: ما لا حياة فيه، والميت: الذي فارق الحياة والجمع أموات⁽²⁾.

أما في المعجم المحيط، لنقف على مفهوم مصطلح الموت، فإننا نجد بأن هذا الأخير "بمعنى يموت، تمويت: جعله يموت وأماته، وموتت الدواب: كثر فيها الموت، الموت: زوال الحياة عن كل كائن حي"⁽³⁾.

(1) - أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 14، دار صادر، بيروت، ط 2001، (مادة موت)، ص ص 147، 148.

(2) - إبراهيم أغيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط 2، 1392 هـ \ 1982 م، مادة (موت)، ص 890.

(3) - بطرس البستاني، محيط المحيط، تح محمد عثمان، ج 8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971 م، مادة (موت)، ص 891.

وعليه فالدلالة التي يحملها مصطلح الموت هي الركود والسكون والانقطاع والزوال، كما تدل أيضا على الذي فارق الحياة والذي لا حياة فيه ومنه فالموت خلاف الحياة وذهاب القوة⁽¹⁾.

1-2: اصطلاحا:

يعد الموت سرا من أسرار الحياة وفيه يقول الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} (2)، والموت ظاهرة حتمية على الأحياء، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يؤرقه الموت وربما لا يقلقه شيء في حياته أكثر من كلمة الموت. والموت هو: "صفة وجودية خلقت ضد الحياة، وباصطلاح أهل الحق هي قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه فقد حي بهداه"⁽³⁾. فالموت هنا ظاهرة إنسانية، وجدت مع الحياة نفسها إذ يعد الموت نهاية طبيعية لكل موجود سواء كان إنسانا أو حيوانا ونباتا، وهناك أوجه عدة تتعدى هذه المخلوقات الثلاث. وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت فورد مرات عديدة وبأوجه مختلفة.

والموت خلق من خلق الله عزوجل يقول تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (2). (4)

فإنه خلق الموت وقدره أزلا متكررا منذ بدأ الخليقة، فهو بيد الله تعالى وبأمره وقضائه، وهو كسائر خلقه ينطبق على جميع الكائنات الحية دون استثناء وهو غير مرتبط بزمان ولا مكان، والإنسان لا يدري متى يموت ولا كيف يموت ومن ذلك قوله تعالى: {وما تدري نفس بأي أرض تموت} (5).

(1) - إبراهيم أغيس وآخرون، المرجع السابق، ص 890.

(2) - سورة آل عمران الآية: 185.

(3) - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر دط ، 2004م، ص 199.

(4) - سورة الملك الآية: 1- 2.

(5) - سورة لقمان الآية: 34.

ومن هنا يتضح لنا أن الموت قانون حتمي أزلي، وجد مع الحياة نفسها وهو زوال للحياة ومفارقة لها والمرء ملاقي حتفه مهما طال عمره وبعد مستقره.

ثانيا: هاجس الموت في الأدب والفلسفة.

1 - هاجس الموت في الأدب:

الشعر فكرة وتجربة إنسانية تنقل تجارب الشعراء في مواضع روحية إنسانية مجردة، فتجد شعر الموت في العصر الجاهلي يمثل موقف الشاعر إزاء المصير المحتوم فهو يتحدث عن أصعب مواجهة للكون وهو الموت، والملاحظ أن مقدمة البكاء على الأطلال أو النسيب أو الشيب أو الشباب إنما هي إشارات إلى عملية الإحباط التي مني بها الشاعر في علاقته بالإنسانية، وهي تعبر أحيانا عن فاجعة الموت⁽¹⁾ كما في معلقة امرئ القيس حين قال:

فَمَا نَبَكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّحُولِ فَحَوْمَلِ.⁽²⁾

ومنه فشعر الجاهليين لم يكن شعر مناسبة، وإنما كان يصدر عن فلسفة تمسهم في أنفسهم أو تمس أقرب الناس إليهم.

فقد أحس الجاهلي بهاجس الموت مثلما أحست به الشعوب من قبله، إلا أن إحساسه قد فاق غيره ووصل درجة العنف، ومرد ذلك إلى قسوة الحياة وخلل في النظام حيث المطر القليل والصراعات بين القبائل والمرعى والمشراب. والجاهلي مهدد بالموت وقصر حياته فإن حصل في موسم من المواسم على قوته فقد لا يحصل عليه في مواسم أخرى⁽³⁾.

(1) - نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1995، ص53.

(2) - امرئ القيس، الديوان، تح مصطفى الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423 هـ \ 2002 م، ص 110.

(3) - محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج 1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص 419، 420.

وفي ذلك يقول طرفة بن العبد:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيَّامُ والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطولِ المرخي وثنيَّاهُ في اليَدِ⁽¹⁾

وقد اعتبر شعراء الجاهلية الموت مظهرا طبيعيا وهو فناء الجسد والنفس معا فالموت يرصد الإنسان دوما وهو قريب منه أينما كان ولا يعلم أحد متى يحين أجله بقول طرفة:

أرى الموت لا يُرعي على ذي قرابة
وإن كان في الدنيا عزيزاً بمقعد⁽²⁾.

وعليه فنظرة الجاهليين إلى الموت نظرة تؤمن بحتميته مهما تعددت معتقداتهم وآراءهم، لكن الثبات الرئيسي في أشعارهم هو الإيمان بالموت.

والإنسان مادام يحيا فالموت يلازمه في حله وترحاله ويطارده مهما طال عمره ومهما بعد مستقره.

ولكن حينما ظهر الإسلام وأنار القلوب وهدى النفوس وأرشد العقول من المفاهيم التي كانت راسخة في أدهان الناس في عصر الجاهلية، كان نصرا ساحقا للإنسان المعذب على مصيره المجهول في كل مكان وزمان، لذلك أضحى البحث عن فكرة الخلود شيء مختلفا عما هو عند الإنسان الجاهلي فالحياة الدنيا هي التي تبقيه، مخلداً في آخرته وهذا مقترن بأعماله فإن كانت خيرا يخلده الله في جنته، وإن كانت شرا يخلده في النار.

وقد كشف قضية الحياة والموت ووضحها الله عزوجل في مواطن كثيرة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {كلُّ

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ (185)}⁽³⁾.

(1) - طرفة بن العبد، الديوان، تح: محمد حسن ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2002 م، ص 26.

(2) - المرجع نفسه، ص 20.

(3) - سورة آل عمران، الآية: 185.

وهذا تأكيد واضح أن الحياة بنعيمها وترفها فانية، وكل إنسان مهما طال أمده، مآله الزوال. وقد كان للخنساء نظرة للحياة والموت بعد إسلامها، فانتقلت من حياة يملأها الثأر والجزع إلى حياة مطمئنة هادئة مؤمنة بقضاء الله والموت المحتوم. وذلك حينما تحول الموت من مقتل إلى استشهاد لقوله تعالى {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون (169)}⁽¹⁾.

كما تغير مفهوم الثأر عند مجيء الإسلام وحل محله القصاص لقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 179}⁽²⁾ وبهذا تغيرت نظرة الإنسان للحياة والموت وأصبح الإنسان يحيا لأخرته لا لدنياه، إذ أصبح كل من الحياة والموت غاية في وجودهم فالحياة فانية والموت آت⁽³⁾.

وليس الأمر بعيدا عما هو عليه في العصر الأموي فقد كان للحياة والموت حضورا عند شعراء بني أمية وظل الشعر يطرح موضوعات الموت ويفيض بها، كشعر الخوارج الذي زخر بموضوع الموت الذي اتسم بالنغمة الحزينة التي لا تبعت على اليأس، كما طغت عليها النظرة المعتقدية، فاقتبسوا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بما يخدم أشعارهم وكثر الحديث عن الجنة والنار، وقد حفل الشعر السياسي في العصر الأموي بمثل هذه الأغراض.

أما في العصر العباسي فقد أصبحت رقعة الحديث عن الموت تتسع شيئا فشيئا، فتأمل الشاعر العباسي الموت والحياة جاءت أشعار الشعراء أكثر عمقا في تناول موضوع الموت، وذلك نظرا لانتشار حياة اللهو والمجون والزندقة وأصبحت الخمريات ظاهرة مستقلة بذاتها، وتوافدت الثقافات اليونانية والفارسية وانتشرت الحروب والفتن مما دفع بالشعراء إلى التأمل في الموت تأملا عميقا في موضوعاتهم الشعرية، وتناولوا موضوعه بشكل أعمق وبتفكير أكبر.

(1) - سورة آل عمران، الآية: 196.

(2) - سورة البقرة، الآية: 179.

(3) - حليف مي يوسف، الشعر النسائي في أدبنا القديم دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس، ص، 97.

من هنا يتبين لنا أن نظرة الإنسان الجاهلي تختلف كل الاختلاف عن نظرتة بعد الإسلام، فلم يعد الموت هاجسا يؤرقه ويشغل تفكيره فالموت نهاية طبيعية لكل البشر، وما هو إلا بداية حياة أخرى.

2- هاجس الموت في الفلسفة:

تعتبر قضية الموت في مقدمة القضايا الفلسفية التي أفلقت الإنسان عبر العصور إلى يومنا هذا فقد أثرت مشكلة الموت في نفسية الإنسان منذ فجر التاريخ، مما دفعه للبحث عما يفسرها ويخفف وقعها على نفسه.

وقد ارتبطت بداية التفكير الفلسفي حول حقيقة الموت عند الفلاسفة اليونان، ولما كان للموت الشغل الشاغل للإنسان القديم بحيث أثر في معتقداته وآراءه فقد قام المفكرون والفلاسفة بالتأمل والتفكير في هذه المسألة، وقد كانت البداية مع سقراط ثم تلاه تلميذه أفلاطون فأرسطو الذي يعد أول من خطى خطوات رائدة في ذلك.

لقد رحب سقراط بفكرة الموت وآمن بأنها تحرر النفس من سجن الجسد، وعودتها إلى عالم الحقائق والخلود فيرى أنه ليس من الحكمة الخوف منه، فقد يكون الموت خيرا عظيما إذ يقول: "إن الموت قد يكون خيرا من الحياة"⁽¹⁾ فالموت في نظره يسمح بتجنب ضروب العجز والبؤس، ويربط هذا الأخير بين محبة الحكمة وعدم الخوف من الموت، فالحكيم هو الذي يعرف مصير النفس وما وعدت به من سعادة، لهذا فهو يتمنى الموت والفيلسوف تساوره الرغبة في الموت بسبب تعطشه الدائم للمعرفة والحقيقة.

وعندما شاءت الأقدار أن يقدم للمحاكمة ويحكم عليه بالإعدام تراه يرحب به لأنه مخلصه إلى عالم السعادة الأبدية ومكان النفس الأصلي، أما الأشرار فإنّ أرواحهم تسجن في أبدان أخرى لتنال عقابها وتبقى تتحول من جسد لآخر ما لم تكفر عن خطاياها التي اقترفتها⁽²⁾.

(1) - جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، تح كامل يوسف حسين، دار المعرفة، الكويت، 1984 م، ص 47.

(2) - أبو نصر محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادها، مكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 1995 م، ص 14.

من خلال هذا التصور يتبين لنا نظرة سقراط للموت فهو مؤمن بحياة ما بعد الموت والخلود حسب رأيه يكون لنفوس الخيرة الطيبة، أما الشريرة منها فتنال عقابها لتكفر عن ذنوبها التي اقترفتها.

أما عند أفلاطون فقد استمر هاجس الموت عنده، مؤمنا في هذا الموضوع باعتقادات أستاذه سقراط على الرغم من خلافاته وإضافاته للكثير من الآراء الفلسفية الأخرى، فوافق في خلود الروح وساق لنا أسطورة " آر " الذي أعيدت له روحه بعد مفارقتها لجسده يقول: "إن الموت انعتاق النفس من الجسم"⁽¹⁾، وأمر بأن يخبر الناس بهذه القصة ليتعظوا بها، فرأى أن النفوس تبقى خالدة وتُبعث للحساب والجزاء، أما النفوس الخيرة فتذهب إلى عالم مليء بالسرور والهناء، أما حياة الأشرار فهي مليئة بالآلام والعذاب⁽²⁾.

وعليه فنظرة أفلاطون لا تختلف عن نظرة سقراط في خلود النفس وبقيائها ووجود حياة أخرى بعيدة كلياً عن الحياة الدنيا التي نعيشها، لذلك بث أفلاطون روح الشجاعة في نفوس الشباب ورأى أنه من الضروري تحرير الشباب من مخاوف الموت إذ لا يمكن لأحد أن يكون شجاعاً مادامت مخاوفه مستولية عليه.

أما عند أرسطو فقد رأى أن الإنسان مكون من جسم ونفس وهما جزءان لجوهر واحد ويكونان متحدين، فالنفس عنده ليست جوهرًا مستقلًا كما كانت عند أستاذه أفلاطون، وهو بموقفه هذا عن النفس يقر أن لا وجود للنفس بعد مفارقتها للجسد فلا خلود لها، ولكن هناك آراء له تبين بخلود النفوس الجزئية، ومنها اعتقاده بإحساس الموتى وتأثرهم بما يصيب معارفهم من أقارب وأصدقاء في الحياة من خير أو شر⁽³⁾.

كما حلل أرسطو الخوف من الموت ضمن تحليله لفضيلة الشجاعة التي هي وسط بين الخوف والتهور فمن الشجاعة عدم الخوف من الموت لأجل الأمور العظيمة كالموت في الحرب فهي أعظم تضحية أوجدتها، وهذا ما يؤكد

(1) - جاك شورون، المرجع السابق، ص 52.

(2) - قاسم محمود، النفس والعقل عند الفلاسفة الأغريق والإسلام، مكتبة الأنجلو، القاهرة، مصر، 1956 م، ص 74.

(3) - رجب عبد الله، الموت والخوف منه عند الفلاسفة الإغريق والإسلام، مجلة جامعة الأنبار، العدد 4 2009 م، ص 521.

مذهبه بقاء النفس بعد انفصالها عن البدن، وعليه ففكرة الموت عند هؤلاء الفلاسفة ما هي إلا نتاج تصوراتهم وأراءهم ومعتقداتهم التي يؤمنون بها وهذه الآراء والأفكار والتصورات ليست ملزمة لأحد إنما تعبر عن تصور ورأي الفيلسوف نفسه وطبيعة فهمه للموت.

أما عند الفلاسفة المسلمين فقد كانت معالجة موضوع الموت ومصير الإنسان بعده أمرا طبيعيا، كونه موضوع ليس جوهر الوجود الإنساني، وبشكل أكبر هو اجسه ومخاوفه وهمومه فضلا عن أن هؤلاء الفلاسفة كانوا يعيشون في مجتمع إسلامي يقر بوجود حياة أخرى بعد الموت فالإيمان باليوم الآخر يعد من بين أركان الإيمان في ديننا الحنيف ومن هؤلاء الفلاسفة نذكر:

الكندي 252هـ

تناول الكندي موضوع الموت بعد أن بون أن النفس جوهر روحي لا جسماني ويستدل على جوهريتها ببرهان الخلق إذ لو كانت عرضا لما فسد الجسد عند مفارقتها له، وفي مواضع كثيرة من مؤلفاته يذكر خلود الروح على أنها حقيقة ويعرض آراء بعض الفلاسفة اليونان ويستشهد بهم ليؤكد مذهبه في خلود النفس بعد الموت، ويؤمن الكندي بأن النفس إذا فارقت البدن علمت كل ما في العالم ولم يخف عنها شيء، كما يقول الكندي إنما تأتي لهذا العالم كعابري سبيل ولا يطول لنا المقام هنا، وإنما مقامنا ومستقرنا هو العالم الأعلى الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت كما دعى إلى عدم الخوف من الموت وذلك لأنه طبع على الإنسان وقدر له⁽¹⁾.

أبو بكر الرازي 313هـ

عالج مشكلة الخوف من الموت، وهو مؤمن بفكرة خلود النفس بعد مفارقتها للجسد دائما ما تشتاق إلى الملمات الجسمانية ولكن هناك أيضا من يرشدها للتخلص من الجسد وهو العقل فتعود وهي المعرفة عالمها العلوي، فبالعقل والتعالي عن الملمات يمكن الرجوع إلى العالم العلوي أما الغفلة فإنها تبقي النفس في هذا العالم. وتحديثه عن مسألة

(1) - إبراهيم رجب عبد الله، المرجع السابق، ص 531.

الخوف من الموت فهو يقر بأنه عارض لا يمكن دفعه عن النفس دفاعاً تاماً إلى أن تقتنع بأنها تصير بعد الموت إلى ما هو أصبح لها فالموت حقيقة واقعة لا بد منها، ثم ينصح الرازي ألا يخاف الإنسان الخير الفاضل من الموت فالشريعة الإسلامية السماء قد وعدته النعيم الدائم⁽¹⁾.

مسكويه 421 هـ

لقد عالج هذا الأخير مسألة الخوف من الموت بشكل مقرب مما عالجها الرازي فيذكر أن الخوف من الموت هو الجهل ببقاء النفس عندما تتخلص من الجسد وإنما تتشرف بهذا الخلاص فتعود إلى عالمها القدسي وتبقى في عالم أرقى مما كانت فيه، كما يقول أن الخوف من الموت سببه الظن أن الموت الم عظيم مع أن الموت لا ألم له لأنه مفارقة النفس البدن والجسم لا يحس بهذه المفارقة، ويرى أنه لا مبرر لخوف الإنسان من العقاب الأخروي على ذنوبه التي اقترفها وهو بنظره سبب واه ووهم كاذب وذلك نتيجة الجهل بالفضيلة والحكمة والشريعة⁽²⁾. وعليه فرغم اختلاف آراء هؤلاء الفلاسفة وتباعد وجهات نظرهم حول الموت والخوف منه، ومصير الإنسان بعده إلا أنهم قد اشتهروا في أن الموت حقيقة حتمية لا مفر منها والإيمان بما جزء من تعاليم الدين الإسلامي

ثالثاً: الموت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

1- الموت في القرآن الكريم:

ورد ذكر لفظ "الموت" ومشتقاته في القرآن الكريم مرات كثيرة والموت خروج الروح من الجسد قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)﴾⁽³⁾ [الإسراء: 85]. وقال سبحانه في آية أخرى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57)﴾ [العنكبوت: 57].

(1) - إبراهيم رجب عبد الله، المرجع السابق، ص 533.

(2) - المرجع نفسه، ص 536، 537.

(3) - سورة الإسراء: الآية 85.

فهذه النفس تذوق الموت ولا بد، ثم بعد ذلك الجزء من جنس العمل قال ابن تيمية رحمه الله: "والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان"⁽¹⁾.

والموت حاضر في القرآن لا ينفك يذكر الإنسان بهذه الحقيقة التي لا مفر منها والنهاية التي لا خلاص منها، إنها قدر الإنسان والمخلوقات في هذه الحياة، يذكرنا بها القرآن لنتعظ ونعتبر.

الوفاة الصغرى في القرآن:

النوم آية من آيات الله التي ينقطع فيها الإنسان ويفقد فيها إحساس اليقظة والاتصال بما حوله، أشارت إليه الآيات بما وصفه العلماء الوفاة الصغرى، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 60]. ثم أعقبها الآية التالية من نفس السورة في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (61) [الأنعام: 61]، لتشير إلى الموتة الكبرى.

وعلى غرار سورة الأنعام أشارت سورة الزمر لنفس الميتين: الصغرى والكبرى، مع اختلاف الترتيب، ففي آيتي الأنعام ذكرت الصغرى ثم الكبرى، وفي آية الزمر ذكرت الكبرى ثم الصغرى، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 41]

الموت أجل محدد:

إن الموت حين يحين موعده لا يتقدم ولا يتأخر، بأي شكل من الأشكال حقيقة لم يستثن منها حتى الأنبياء قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلًا⁽²⁾.

(1) - مجموع فتاوى ابن تيمية (4/279).

(2) - سورة آل عمران: الآية 144.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)﴾⁽¹⁾. قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)﴾⁽²⁾. وقال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾⁽³⁾. وفي آية أخرى قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾⁽⁴⁾.

فلا قتال يقصر العمر ولا شجاعة تسلب المرء حياته، إنما هي أعمار قدرت آجالها مسبقاً. قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)﴾⁽⁵⁾.

قال ابن حزم: "الخلق كله مصرف تحت أمر الله عز وجل وعلمه، فلا يقدر تعدي علم ما علم الله تعالى أنه يكون، ولا يكون ألبته إلا ما سبق في علمه أنه يكون، والقتل نوع من أنواع الموت. فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش فسؤاله سخيف؛ لأنه إنما يسأل لو لم يموت هذا الميت، أكان يموت أم كان لا يموت، وهذه حماقة لأن القتل علة الموت لمن قتل"⁽⁶⁾. فحتى لو لم يخرج لهذا القتال فإن الموت مدركه ولو كان في قصر مشيد قال تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾⁽⁷⁾. ولا يفرّ من الموت إلا جاهل ظالم لنفسه، أو كافر. قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾⁽⁸⁾.

(1) - سورة الزمر: الآية 30.

(2) - سورة يونس: الآية 49.

(3) - سورة آل عمران: الآية 145.

(4) - سورة الأنعام: الآية 2.

(5) - سورة آل عمران: الآية 154.

(6) - الفصل في الملل، لابن حزم: 49/3.

(7) - سورة النساء: الآية 78.

(8) - سورة الجمعة: الآية 8.

وقال تعالى ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (16) ﴿(1)﴾.

تأمل هذا التحدي العظيم في سورة آل عمران حيث قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَن أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168]. فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين! ثم هذا التحدي المهيب في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (94) ﴿(2)﴾. وقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (6) ﴿(3)﴾. وقد أعجزت آية الموت الظالمين والكافرين.

ملك الموت في القرآن:

ذكر القرآن ملك الموت بدون تحديد اسمه لنعلم أنه موكل بإخراج الروح لحظة الموت وهو كبير الملائكة الذين وكلهم الله بقبض أرواح العباد. قال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (10) ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (11) ﴿(4)﴾ وعند الموت تأتي الملائكة لاستقبال الميت قال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (61) ﴿(5)﴾. قول الله عز وجل ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85)﴾ ﴿(6)﴾. أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا، ولكنكم لا تروهم،

(1) - سورة الأحزاب: الآية 16.

(2) - سورة البقرة: الآية 94.

(3) - سورة الجمعة: الآية 6.

(4) - سورة السجدة: الآية 10، 11.

(5) - سورة الأنعام: الآية 61.

(6) - سورة الواقعة: الآية 84، 85، 86.

وملك الموت أعوان من الملائكة، قال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (61) ﴿⁽¹⁾﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: "إن ملائكة موكلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم".

سكرات الموت في القرآن

قدر الجميع الموت لكن الاختلاف في موعد خروج الروح وما بعده من تفاصيل. قال تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (19) [ق: 19] وقال سبحانه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ ⁽²⁾ ولحظة الموت لا يملك الإنسان أي خيار إلا الموت. ولذلك جعل الإسلام الأهمية القصوى للاستعداد لهذا الموعد. فهو بالنسبة للمؤمن الصالح يمثل لحظة شوق للقاء الله أما الكافر المجرم فهي لحظة يتمنى ألا تأتي أبداً. قال تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ⁽³⁾.

ولحظة الموت قال تعالى فيها ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (22) ⁽⁴⁾. المؤمن يعتبر أنها بوابته لحياة الخلود في الجنة، ولأنه أمضى عمره يعبد الله على شوق اللقاء والمحبة. بل هو لبعض العباد أمنية كبرى ومرتبة مطلوبة إنه بوابة الحياة الحقيقية بمعانيها الجليلة، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(1) - سورة الأنعام: الآية 61.

(2) - سورة الأنعام: الآية 61.

(3) - سورة البقرة: الآية 96.

(4) - سورة ق: الآية 22.

يُزَكُّونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) ﴿⁽¹⁾﴾.

والآية ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)﴾ ﴿⁽²⁾﴾.

ولأنه خط لا رجعة بعده جعل الله التوبة مصيرية قبل الموت قال تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ ﴿⁽³⁾﴾. وجاءت العديد من الآيات تشير لآية الموت كعبرة للبشر وحجة دامغة وحق ينسف الباطل، قال تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا [الروم: 50] وقوله سبحانه ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ﴿⁽⁴⁾﴾، والفقهاء من جعل عنوان مسيرته في الدنيا ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾ ﴿⁽⁵⁾﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8)﴾ ﴿⁽⁶⁾﴾.

2- الموت في السنة النبوية:

عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «أَكثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ، الْمَوْتُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ»⁽⁷⁾، ولا ينفك ذكر الموت في السنة محرضاً

(1) - سورة آل عمران: الآية 169، 170، 171.

(2) - سورة المنافقون: الآية 10.

(3) - سورة النساء: الآية 18.

(4) - سورة فاطر: الآية 9.

(5) - سورة الأنعام: الآية 162.

(6) - سورة الدخان: الآية 8.

(7) - رواه الترمذي والنسائي، وصححه ابن حبان.

للمسلم على التفاني في عبادة الله سبحانه وتعالى والمسابقة بالخيرات قبل لحظة الوداع. فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: "اذكر الموت في صلاتك، فإنَّ الرجل إذا ذكر الموتَ في صلاته لحري أن يُحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظنُّ أنه يُصلي صلاةً غيرها، وإيَّاك وكلُّ أمرٍ يُعتدَّرُ منه"⁽¹⁾. وعن ابن عمر أنَّه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَاشِرَ عَشْرَةٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ أَكْبَسَ النَّاسَ وَأَحْرَمَ النَّاسَ فَقَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمْ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ"⁽²⁾.

وقد ورد ذكر الموت في الحديث من باب المقارنة مع الرزق كما روي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى ﷺ قال: لو أنَّ ابن آدمَ هَرَبَ من رزقِهِ كما يهرب من الموتِ، لأَذْرَكَ رِزْقُهُ كما يُدْرِكُهُ الموتُ"⁽³⁾. وعن محمود بن لبيد الأنصاري عن النبي ﷺ قال: "اثنان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب"⁽⁴⁾.

ولم يقف الأمر على ذكر الموت لتحذير الإنسان من مغبة الغفلة عن هذا المصير وضرورة الاستعداد له، بل ورد أيضاً لتبيان أن الموت هو أهون خطر ينتظرنا على شدته، فما بعده أشد وأخطر كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشدَّ عليه من الموت، ثم إن الموت لأهون مما بعده"⁽⁵⁾.

وقال أيضاً ﷺ: "لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً عن شهوة أبداً، ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولمرتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم، وتبكون على أنفسكم"⁽¹⁾.

(1) - أخرجه البيهقي في كتاب الزهد الكبير وصاحب كنز العمال، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وفي صحيح الجامع.

(2) - رواه ابن ماجه، والطبراني في الصغير وحسنه المنذري والهيثمي وقال العراقي: إسناده جيد.

(3) - صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (952).

(4) - رواه أحمد، الصحيحة (813).

(5) - أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات.

إن النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بعمل يجري أجره حتى بعد الموت لنسابق في الخيرات بيقين، فقال: "أَرْبَعَةٌ تُحْرِي عَنْهُمْ أَجُورَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِي لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَزَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ"⁽²⁾.

وحثنا ﷺ على مواصلة العمل الصالح بحاسبة النفس، حيث قال ﷺ: "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَيَّ عَلَى اللَّهِ"⁽³⁾.

ونهاانا النبي ﷺ عن تمني الموت حيث ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أنس أنه قال: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرِّ أَصَابَةٍ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَعْلِمَا فَلْيُقِلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي".

لكن تمني الموت مباح لخوف الفتنة في الدين، كما في الحديث الذي رواه أبو داود عن النبي: "وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون". لذلك دعا عمر بن الخطاب الله قائلاً كما ورد في الموطأ: "اللهم كبرني سني، وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط"⁽⁴⁾.

وأعظم أمنية، تمني الموت لأجل الحياة والارتقاء في أعلى مراتب الجنة، مراتب الشهداء، فقد كان النبي ﷺ يتمني القتل في سبيل الله ويكرر ذلك ويحث عليه لأنه السبيل لنيل مرتبة الشهداء وفضائلها والسبيل لحياة الخالدين في أعلى مراتب الجنة.

(1) - أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات، مرجع سابق.

(2) - رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي، صحيح لغيره.

(3) - رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(4) - كتاب الموطأ، الإمام مالك، ج2، ص: 824.

قال ﷺ في الحديث الصحيح: "والذي نفسي بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أحد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيخرجون ويشق عليهم أن يتخلفوا بعدي والذي نفس محمد بيده لو ددت أتى أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل". قال ذلك ثلاثاً.

وروى البخاري ومسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَنَّهُ مَلَكَانَ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَيُّ الْكَامِلِ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا التَّقْلِينَ»⁽¹⁾. فاللهم نسألك حسن الخاتمة والجنة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه وتعالى.

(1) - صحيح البخاري (90/2) ص: 1338.

الفصل الثاني: البعد

الوجودي للزوميات

البعد الوجودي للزوميات

المبحث الأول: منابع فلسفة أبي العلاء المعري

لقد سمع عن ابن العديم قوله: "ولد المعري ونشأ في بيت صغير بمعرة النعمان وقد عرف هذا البيت بالعلم والفضل والأدب، فجدده سليمان بن أحمد قاضي المعرة كان شاعرا وكذلك أبوه عبد الله وعمه أبو بكر بن محمد، وأخواه أبو المجد محمد وأبو الهيثم عبد الواحد"⁽¹⁾، هذا فيما يخص الجو العائلي والمحيط الذي نشأ فيه، أما عن اطلاعه على مختلف الديانات والعقائد والفلسفات فنجملها فيما يأتي:

1 - اطلاع أبي العلاء على الديانة الإسلامية والشرائع السماوية

أ/ الديانة الإسلامية

كما روى عنه ابن الوردي أنه: «بعد أن تتلمذ أبو العلاء عند أبيه، وقرأ القرآن على أئمة من شيوخ القراءات وسمع الحديث من عند أبيه، وسمع عن جماعة من أصحاب (ابن خالويه) ظهرت نجابته وفطنته، ما جعل والده يمضي به إلى حلب حيث أخواله (بنو سبيكة)، إذ تلقى النحو عن إمام العربية في حلب محمد بن عبد الله بن سعد النحوي⁽²⁾، ولا بد أن تتقفى آثاره الأدبية حتى تبرهن على معرفته بالديانة الإسلامية.

ففي "رسالة الغفران" أشار إلى ما جاء عن الجن في سورتي الجن والأحقاف، كما أنه استأنس بآيات النعيم في الآخرة، وسمى دار العذاب في عالمه بأسمائها القرآنية وهي النار الجحيم، وجهنم واستعمل أيضا السعير والزبانية،

(1) - طه حسين، تح مصطفى المتقا، عبد الرحيم محمود عبد السلام، هارون إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد: ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري

الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1965م، ص493.

(2) - المرجع نفسه، ص206.

والأغلال والسلاسل⁽¹⁾، كما أنه لم يشير إلى وجود أي ملحد أو زنديق من الشعراء في الجنة بل جعلها حكراً على الصحابة وبعض شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي مستبعداً بذلك الشعراء الأمويين والعباسيين.

أما في "الفصول والغايات" فبين أنه مؤمن بالله عزوجل و متمسك بطاعته وعبادته، يقول: "إن الله هو الملك لا يهلك لكن يُهلك والفلك بعض ما يملك، والطرقُ إلى طاعته تنسلك، فخاب من يشرك"⁽²⁾.

كذلك في لزومياته فإنه أثبت فيها القدرة العامة والشاملة لله عز وجل، وما يتفق عليه المسلمون وأهل الديانات السماوية عموماً، حيث يقول:

أرى زمنا تقادم غير فان فسبحان المهيمن ذي الكمال⁽³⁾

ب/ اطلاعه على اليهودية والمسيحية

وحسب ابن العديم فإنّ: العلوي خازن مكتبة أنطاكيا، ذكر أن أبا العلاء كان يحفظ عدة كتب في أيام قلائل لما له من سعة الحفظ والذكاء العجيبين⁽⁴⁾.

وهو ينظر إلى الدين على أنه إيمان وشريعة أما الإيمان فهو واحد لجميع الناس ولكن لا يعرفه إلا المفكرون، أما الشرائع فهي مختلفة وهي التي خلقت النزاع بين البشر⁽⁵⁾. إنّ المعري وطيد الإيمان بالله الخالق القادر.

"وقد تكرر حديثه عن الجدل الذي كان قائماً بين الأديان، ويترتب عليه أن مصدرها ليس واحداً، وإلا لما اختلفت باختلافها دليل على تعدد واضعيها، وهذا الاختلاف يرده المتكلمون المسلمون إلى النسخ الذي يتصل

(1) - سناء الخضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية - مصر، دط، دت، ص 216.

(2) - المرجع نفسه، ص 216.

(3) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 1، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 341.

(4) - طه حسين، تح: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد: المرجع السابق، ص 554.

(5) - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، 1972م، ص 124.

عندهم بقاعدة تغير الأحكام مع تغير الأزمان»⁽¹⁾. لكن المعري ينص على وقوع الاختلاف ليس في الأحكام وحدها بل وفي العقائد وهذه لا يعمها النسخ. أي أنه كان مطلعاً على رأي المتكلمين المسلمين ثم خالفه.

يقول لزومياته:

كل الذي تحكون عن مولاكم كذب، أتاكم عن يهود يجبر⁽²⁾

فهو يخاطب المسلمين في هذا البيت ويبين أن المسلمين أخذوا دينهم عن اليهود وأن اليهود كذبوا على الله.

إنما وصوله لنتيجة كهذه لن يكون بالضرورة إلا بعد الاطلاع على جميع الديانات السماوية وهذا دليل على أنه

كان مطلعاً على الديانة اليهودية إضافة إلى الإسلامية والمسيحية.

وهذا الدور الذي قام به من خلال مقارنته للديانات السماوية، إنما يؤكد على ذكائه وقدرته على ربط ما تعلم،

ليخرج بفكرة جديدة، ومقارنة الأديان هو علم حديث يعود إلى القرن الماضي فقط.

ويقول في لزومية أخرى:

عجبا للمسيح بين أناس وإلى الله والد نسبوه

أسلمته إلى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه

يشفق الحازم اللبيب على الطّ فل. إذا ما لداته ضربوه⁽³⁾

(1) - هادي العلوي، المرجع السابق، ص12.

(2) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 1، المرجع السابق، ص448.

(3) - أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 2، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، 1924م، ص609.

حيث يسخر من معتقد المسيحيين الذين جعلوا لله عز وجل ابنا. فكيف لهذا الوالد وهو الإله ألا يحرك ساكنا من أجل ابنه المسيح الذي صلب، وهو يرى أن ما يناسب العقل هو أن الوالد يدافع عن ابنه. وبهذا نخلص إلى أن أبا العلاء كان مطلعاً على جميع الشرائع السماوية.

2- اطلاع أبي العلاء على المذاهب الدينية السائدة في عصره:

لقد كان لاتساع الرقعة الجغرافية لبلاد المسلمين، واختلاطهم بأجناس وحضارات مختلفة أثر عظيم فيما وصلت إليه الفلسفة الإسلامية من تنوع للمذاهب الدينية، وهنا سنشير إلى بعض الزوميات التي تعبر عن معرفة المعري بهذه المذاهب:

أ المذهب الحنفي:

كان أبو العلاء مطلعاً على مذهب أبي حنيفة، حيث يقول:

زكوا على مذهب الكوفي في أرضكم وجانبوا أرضه في مسكر طبخا⁽¹⁾

ففي الشطر الأول تحدث عن رأيه في الزكاة، حيث يراها أمراً محبذاً مطلوباً. بينما يشير في الشطر الثاني إلى إباحة شرب النبيذ، وهذا على مذهب الكوفي الذي أراد به أبا حنيفة صاحب المذهب الحنفي.

ب الشيعة:

انتقد أبو العلاء الشيعة بقوة، وله لزومية مطولة سخر فيها من عقائدهم، واتهمهم بارتكاب المحرمات اتكالا منهم على شفاعته علي رضي الله عنه يوم القيامة، حيث قال في لزومية رائية:

وما صح للمرء المحصل أنه بكوفان قبر، للإمام، يزار⁽²⁾

(1) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 1، المرجع السابق، ص 307.

(2) - المرجع نفسه، ص 467.

ففي هذه الزومية أنكر أن يكون الإمام علي مدفونا بالنجف، ويقصد بكوفان الكوفة، أي أنه هدم الأساس الذي قامت عليه إحدى الفرق الشيعية وهي فرقة الاثنا عشر.

كما تحدث أبو العلاء عن فرقة الصابئة، وبرّر لعقيدتها كما كانت معروفة في زمانه، حيث قال في إحدى لزومياته:

الشهب، عظمها المليك ونصها للعالمين، فواجب إعظامها⁽¹⁾

والصابئة هي ملة أتباعها قلائل ومسلمين شاركت بقدر قليل في العلوم الإسلامية، وهي تدعو إلى عبادة النجوم تماما كما دعا أبو العلاء في هذه الزومية.

كما هاجم الأشاعرة وأهل السنة، وتحدث عن صراعهم مع الشيعة بشأن الصحابة والخلفاء، حيث قال في لزومية رائية أيضا:

لما تولى يزيد الأمر هان على معاشر كونه من قبيل في عمر⁽²⁾

والمقصود في هذه الزومية يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني، وعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين. وقد ظهر اطلاعه على فلسفة ابن سينا واضحا من خلال تشكيكه في يوم القيامة والبعث من جديد حيث رأى أن الموتى إذا أعيد إحيائهم من جديد لن تتسع الأرض لهم ولن يجدوا مكانا يكفيهم، قال في لزومياته:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن ييکوا⁽³⁾.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، المرجع السابق، ص 411.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 535.

(3) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، المرجع السابق، ص 216.

قد استند أبو العلاء في إنكاره ليوم البعث على برهان حسي من شاكلة برهان ابن سينا في رسالة (المعاد)، وقد كرر هذا البرهان في لزوميتين، وفي لزوميات أخرى عبر عنه بالنظم العادي كقناعة دون أن يتوسع بالبراهين التي لا تسمح بها طبيعة التعبير الشعري، لا سيما المقفى الموزون⁽¹⁾، حيث قال:

يخطئنا ريب الزمان، كأننا زجاج، ولكن لا يعاد له سبك⁽²⁾

بمعنى أن الزجاج عندما يتكسر، لا يعاد مسبوكا كما كان، وهكذا الإنسان عندما يموت لا يعث من جديد.

ويظهر اطلاعه على فلسفة ابن سينا أيضا من خلال إقراره بأزلية هذا الكون، حيث قال:

خالق لا يشك فيه، قديم وزمان، على الأنام تقادم

جائز أن يكون آدم، هذا قبله آدم على إثر آدم⁽³⁾

وقال أيضا:

لو طار جبريل بقية عمره من الدهر ما استطاع الخروج⁽⁴⁾.

فجبريل لن يستطيع الخروج من الزمن لأنه غير متناه، كالعالم تماما، والزمان وجد بوجود العالم، فمتى وجد العالم وجد الزمان وهذا يعتبر قول الفلاسفة المسلمين أيضا كالفرايبي، وابن رشد وابن سينا فهم يقولون بأزلية العالم وليس بأنه خلق من عدم. ولا بد أيضا أن نشير إلى اعتماده على العقل في البرهنة على كل المسائل التي ناقشها، حيث قال:

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظن، لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء⁽¹⁾

(1) - هادي العلوي، المرجع السابق، ص 15.

(2) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج2، المرجع السابق، ص216.

(3) - المرجع نفسه، ص 488.

(4) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص245.

يقصد بالكتيبة الخرساء الكتبية التي لا يسمع فيها صوت لكثرة الجلبة، أي لن يقوم إمام مرشد وسط من لا يعملون عقولهم ويكثرون اللغو فقط، فهو يعتبر العقل السبيل الوحيد للمعرفة، وأن الظن لا قيمة له ويحث على إعماله والأخذ به، وهذا ما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون كابن الراوندي وابن سينا.

3/ اطلاعه على الفلسفة اليونانية:

لقد كان أبو العلاء مطلعاً على الفلسفة اليونانية، حيث ذكر أعلامها في عديد من لزومياته، ومنها: نلاحظ أنه أشار إلى الطبيب اليوناني المشهور بقراط، إضافة إلى الفيلسوف اليوناني سقراط،

وما دفعت حكماء الرجال حتفاً، بحكمة بقراطها
ولكن يجيء قضاء يريك أخا غيرها مثل سُقراطها⁽²⁾

وقال أيضاً:

أين بقراط، والمقلد جالي نوس؟ هيات أن يعيش طبيب⁽³⁾

هنا يشير إلى حتمية الموت، وذكرونا بالسابقين الذي ماتوا، خاصة منهم الأطباء كجالينوس الطبيب اليوناني المشهور.

يقول طه حسين في سياق آخر عن فلسفة المعري ليست هذه الفلسفة الأفلسفة أبيقور⁽¹⁾، وأبيقور فيلسوف يوناني، تقوم فلسفته على إنكار العلة الغائية التي يؤمن بها العديد من الفلاسفة وأصحاب الديانات المختلفة، حيث يرون أن غاية الله في الخلق هي التكليف.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 22.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 111.

(3) - المرجع نفسه، ص 111.

وحجة طه حسين في ذلك أن الفلسفة الأبيقورية قد وصلت إلى أبي العلاء عن طريق الطب اليوناني وطب جالينوس، إذ كان أبو العلاء شديد الإعجاب بأعمال هذا الأخير فانكب على ما ترجم من أعماله إلى العربية⁽²⁾ وقد برزت مصطلحات الفلسفة والمنطق والطب، ومن ذلك مصطلح فيلسوف بمعنى محب للحكمة، وقد استخدمها أبو العلاء في مواضع مختلفة من شعره⁽³⁾، كما في قوله:

ألم تر أن جسمي فيه فضل وجسمك قد أضّر به الشُّسُوف⁽⁴⁾

والشسوف مصطلح فلسفي يوناني يقصد به الضمور، أي أنه يقصد بالرغم من قلة طعامه إلا أنه معافى، وأن من يخاطبه رغم كثرة طعامه هزيل.

4- نزعة أبي العلاء التشاؤمية:

لقد تأثر أبو العلاء منذ صغره بوضعه الصحي فمن ياقوت الحموي أنه «اعتل في سنته الرابعة بعلة الجذري⁽⁵⁾». والتي أصيب بسببها بخدوش وحفر في وجهه وأصبح كفيفا. ساعدت هذه الحالة الصحية لأبي العلاء على تبنيه النزعة التشاؤمية في الحياة، وعلى انزاله عن الناس مدة أربعين سنة الأخيرة من حياته، فأصبح يرى أن الناس هم مصدر البؤس والشر، حيث قال:

تخير فإما وحدة مثل ميتة وإما جليس في الحياة منافق⁽⁶⁾

(1) - طه حسين ذكرى أبي العلاء، ص 45.

(2) - المرجع نفسه، ص 45.

(3) - تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء وعمر الخيام الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2003م، ص164.

(4) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 157.

(5) - طه حسين، تح: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد: المرجع السابق، ص 558.

(6) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 178.

كما كان للأوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت في عصره الأثر البالغ على تبنيه النزعة التشاؤمية، حيث انتقد السياسة والمجتمع والدين والاقتصاد وحتى الأدب، ونزعتة التشاؤمية هذه أيضا كانت سببا من أسباب نزعتة التأملية والفلسفية.

في الأخير نستخلص أنّ أبا العلاء كان متطلعا وعارفا بجميع الديانات السماوية والمذاهب الدينية والفكرية التي سادت في عصره، إضافة إلى ما ترجم من الفلسفات اليونانية إلى العربية، مما شكل لديه زادا معرفيا عظيما ساعده على الإنتاج الأدبي والفكري هذا إضافة إلى شدة ذكائه وفطنته والجو العائلي الذي نشأ فيه.

العوامل التي أثرت في شعر أبي العلاء المعري:

(1) فقدان بصره وعدم تكيفه مع المجتمع:

لابد من أن شخصية الإنسان تتأثر في تكوينها بعوامل جسدية وفيزيولوجية واجتماعية ونفسية وحتى أخلاقية. وفقدان البصر يعتبر من بين الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى اختلال في السلوك ومن ثم التأثير في الشخصية، ففقدانه للبصر يؤدي يورثه عجزا عن الرؤية الذي يجعله يحس بأنه أقل من المبصر الذي يرى بعينه، فيضيق علمه الخاص به لنقص خبرته في هذا العالم الذي يعيش فيه، وإدراكه بعجزه يجعله دائم الرغبة في الخروج منه إما بالاندماج والتكيف مع عامته.

وهذا ما أشار إليه مصطفى فهمي حيث يقول «ولما كان التكيف الاجتماعي يستند إلى عملية تعديل ذاتي أكثر مما يستند المحاولة تعديل العالم الخارجي، فقد توجب على الفرد الذي يرغب في أن يكون عضوا في الجماعة أن يعدل سلوكه، لأن التكيف مهمة الفرد لا البيئة⁽¹⁾، أو يكون بالانعزال الذي يُشعِرُ الكفيف بالراحة والأمان.

والمعري من بين الشعراء المكفوفين الذي عان من العمى، فأصابه العجز جراء فقدانه البصر، حيث نراه يهاجم المجتمع ويلومه لأنه نظر إليه ومن مثله على أنه عبء، فاتخذ المجتمع موقفا صنفه العالم النفساني "سومرز" في خمسة أنواع في "القبول إنكار الوجود أي أثر للعاهة والتدليل والحماية المسرفة للإعراض المقنع والنبد الظاهر"⁽²⁾.

وعليه وبالرغم من محاولات المعري للاندماج في هذا المجتمع وتحدي عاهته وعجزه، إلا أنه لم يستطع التكيف لأنه لم يستطع تعديل ذاته التشاؤمية، تلك الذات التي نظرت إلى المجتمع نظرت بغض وكرهية، لأن الشر هو الذي يجتذب أخلاق ساكنيه وأفعالهم في رأيه⁽¹⁾.

(1) - مصطفى فهمي: مجالات علم النفس دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت، القاهرة، ص: 42.

(2) - مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص104، 105.

فقد أراد أن ينسى عاهته ويشغل نفسه بأشياء تلهيه، وقد بلغ به الأمر لحد الافتخار ببصيرته التي حباه الله بها

دون سواه بالرغم من حرمة البصر. يقول:

تلف البصائر والزمان مفجع أدهى وأفجع من ترى الأبصار
بلغ الفتى هرما فظن زمانه هرما ولام تقادم الأعصار⁽²⁾

ويقول:

أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كل أعمى لديه عصا هاد
وقد علمت إذا شهدت من حذر أن ليس ينفي خطوب الدهر تسهاد⁽³⁾

فبصره لا يهديه إلى النظر ولا يمكنه من الرؤية كباقي الأفراد ولكن عميه هذا لم يمنعه من أن يهتدي إلى الأشياء

ببصيرته، وهذا ما وضحه بقوله: "إذ كل أعمى لديه عصا هاد"، ويقول أيضا:

كمه البصائر لا يبين لها الهدى أو مبصر أبدا بعيني أرمـد
حسد يعذب في الحياة حسبته مستشعرا حسد العظام الهمـد
إن السيوف تراخ في اغمادها وتظل في تعب إذا لم تُغمـدِ
من لي بجسم لا يخص رزية لكن يعد كشربة أو جـمـد
روح إذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهـي في مرض العناء المكـمـد
إن كنت من ربح فيا ربح اسكني أو كنت من هـب فيا هـب أخمـد⁽⁴⁾

(1) - طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، المرجع السابق ص 60.

(2) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 393.

(3) - المرجع نفسه، ص 255.

(4) - المرجع نفسه، ص 255.

رسم أبو العلاء المعري لوحة فنية مفتخرا فيها بنفسه. ويظهر في سياق آخر وهو يسوي بين الأعمى والمبصر من

باب النهاية التي يؤول إليها كليهما فالفناء يتحقق للجميع ولا فرق بين مبصر وأعمى، يقول:

أرى كل خير في الزمان مفارقا فلا تأسفن فيها لقلّة خيركا
 ودياك سارت بالأنام معذةً فلا فرق فيها بين سيّري وسيركا
 أصاح أتدري كيف يعدك حالها أجل مثل ما شاهدته بعد غيركا
 فإن كنت لا تستطيع للنفع كثرة فلا تعدمنك النفس قلة خيركا⁽¹⁾

وقد بالغ حين جعل المرض الذي بدأ في عيشه فأفقدته إياها، حين جعله مجرد اكتحال بسواد الخندس، يقول:

إن ينظر أعينا رمدا فما رمدا ولا بغير سواد الخندس اكتحالا⁽²⁾

خاصة إذا علم أن العمى ليس آفة عنده بقدر ما هو ظاهرة إيجابية يستحق أن نحمد الله عليها حسب رأيه، يقول:

الحظ لي ولأهل الأرض كلهم ألا يراني أخرى الدهر أصحابي
 وشقوة غشيت وجهي بنظرته أبر لي من يغميم جر إشحابي
 حابي كثير وما نبلى بصائبة وكيف لي في مراميهن بالحالي
 قد كنت صّعيل ولكن أرهفت غير حتى تبين كل الناس أصحابي⁽³⁾

فقد تحميه من التيه والضلال والضباع، يقول:

طففت عيون الناظرين وأشرقت عين الغزالة بأنّها عوار
 ويكون للزهر الطوالع منتهى يذويــــن فيه كما ذوي النوار⁽¹⁾

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص: 158.

(2) - المرجع نفسه: ص: 158.

(3) - المرجع نفسه، ص: 110.

ويقول:

إذا طفئت في الثرى أعين فقد أمنت من عمى أورمد⁽²⁾.

فحسن العين عند المعري من أمنت من العوار والعمي والرمد، وقد تحميه من النظر إلى الصحراء، وما تحويه يقول:

ذهاب عيني صان الجسم آونة عن التطرح في البيد الأماليس

وإن أبيت سمير الكدر في بلد تطوي فلاه بتهجير وتعليس

أهوى الحياة وحسي من معانيها روم أني أعيش بتمويه وتدلّيس⁽³⁾

ولكن وبالرغم من افتخاره بنفسه وعماه إلا أنه يعده سجنا في أوقات أخرى، يقول:

أراني في الثلاثة من سجنوني فلا تسأل عن الخبر النبـيـث

لفقد ناظري ولزوم بيـتي وكون النفس في الجسد الخبيـث⁽⁴⁾

فكان أول سجونته هو فقدانه للبصر وسجنه الثاني هو بيته والثالث هو الجسد الخبيث حسب وصفه. كما بين أن

عميه حرمة من الحب والزواج والتنعم بالأولاد، فأكسبه قلقاً وملاً حيرة في أمور دينه ودنياه، يقول:⁽⁵⁾

عمي العين يتلوه عمي الدين والهدى فليلتي القصوى ثلاث ليالي

وما أزمتم نفسي البنان على التي إذا أزمتم عفت بشوك سيال

ولا قصرت لي أم ليلي بشربها حنادس أوقات عليّ طيال

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 312.

(2) - المرجع نفسه ص 270.

(3) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 229.

(4) - المرجع نفسه، ص 167.

(5) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 299.

وما سرني رب الخيال بشخصه فيطلب مني النوم طيف خيال
وهون أرزاء الحوادث أنني وحيد أعانها بغير عيال
فدعني وأهوالا أمارس ضنكها وإياك عني لا تقف بجياتي

إذن فقدته للبصر قد أفقده النوم فذاق مرارة عماه بالرغم من انشغاله عنه في كثير الأحيان بالأدب والرحلات، إلا

أنه بينه وبين نفسه ما هو إلا عورة يخفيها عن الآخرين، يقول:

وما بي طرق للمسير ولا السويل أني ضرير لا تضى لي الطرق
أغربانك السحم استقلت مع الضحى سوانح أم مرت حمامك الورق
رحلت فلا دنيا ولا دين نلته وما أوبتي إلا السفاهة والخرق
متى يخلص التقوى لمولاه لا تغض عطاياه من صلى وقبلته الشرق
أرى حيوان الأرض يهرب حتف ويفرعه رعدا ويطعمه برق⁽¹⁾

رسم المعري بهذه الأبيات، ووضح من خلالها حالته التي لا تفرق عن حالة العميان، فهو لا يستطيع حتى السير في

الطريق كباقي المبصرين، ولا يملك إلا الصبر على هذا السواد متمنيا انغشاؤه وزواله بمجيء صبح جديد يريجه بنوره

يقول:

ولطالما صابرث ليلا عاتما فمتى يكون الصبح والإسفار
يرجوا السلامة ركب خرق متلف وممن الخفير أتاها الإخفار⁽²⁾

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 123.

(2) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 313.

وهو لا يتوانى في طلب النور الذي يخرج من ظلمة الليل وسواده ويرجحه من ذلك الضيق الحاصل له من الله، ويقول:

نرجوا من الله رحبا إثر ضيقة
من الأمور، ونورا بعد إظلام
له الممالك قد بانـت دلائلها
للمفكرين برايات وأعلام⁽¹⁾

كيف لا يدعوا الله أن يفرج همهم ويرسل إليه نورا ليضيء له ذلك الظلام خاصة أنه ساوى بين ظلام آفته وظلام القبر ووحشته، يقول:

وإذا ظلام العين بعده ظلمة الثرى
فقل في ظلام زيد فوق ظلام⁽²⁾

فقد عانى المعري كثيرا من هذه الآفة، فأحس بالآلام شديدة نتيجة فقدته للملذات بسببها كالرؤية والاختلاط والزواج وغيرها من النعم التي حرم منها بسبب عماه، حتى عد العيش داء، فتمنى الموت للاستراحة منه، ويقول:

والعيش داء وموت المرء عافية
إن داؤه بتواري شخصه حسما
أنفاسه كخطاه والبـقاء له
مسافة فهو يفني كلما إنتسما
منازل الأنفس الأجساد يطعنـها
وقد الحمام فكم من منزل طسما⁽³⁾

فالعزلة ليست وحدها كافية لتجاوز مثل هذه المحن ويعتبر الموت هو المنقذ الوحيد لخلاصه من عاهته وتجاوزها.

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 322.

(2) - المرجع نفسه، ص 315.

(3) - المرجع نفسه، ص 303.

2) الزهد في الحياة والنزعة التشاؤمية:

لقد كان ظهور الزهد انتكاسا لظاهرة اللهو والمجون وتأييدا للجانب الجاد من الحياة الاجتماعية وتوكيدا للتوبة التي كانت انعكاسا صادقا من الذين نفروا من الحياة العابثة الماجنة التي تسود المجتمع⁽¹⁾.

والمعري من بين الشعراء الذين زهدوا في هذه الحياة، فهون أمر الدنيا في نظره وعبر عن عمق مشاعره الدينية وتعلقه بالآله وابتعاده عن هذه الحياة التي أَرَقَّتْهُ، فكان يتمنى الرحيل عنها لو كان الأمر باختياره وعدم البقاء فيها حتى أنه كان يتشاءم ويتضايق ممن يدعوا له بطول البقاء فيها يقول:

دعاني بالحياة أخو وداد رويــــدك إنما تدعو عليا
ما كان البقاء لي اختيارا لو أن الأمر مردود إليا⁽²⁾

فانصرف بذلك عن كل زخارف الدنيا وزينتها، وكأنه «رأى أنه بمقدار ما يحرم نفسه من اللذات وممتع الحياة يكون هدوء ضميره وأمن قلبه ورضا فؤاده. لذا يقول:

لا تشرفن بدنيا معروضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف⁽³⁾

وزهد حتى في الخلق وفي معرفتهم فيها، وهذا ما نتلمسه من خلال قوله التالي:

وزهدتي في الخلق معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباء

ويقول:

حوفرت في كل مطلوب هممت به حتى زهدت فما خلعت والزهدا

(1) - عروة عمر الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، دروس، ديوان المطبوعات الجامعية، (د)، (ط)، 2010 الجزائر، ص15.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص873.

(3) - شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1975، ص112.

فالحمد لله صابي ما يزايلني ولست أصدق إن سمينه شهدا
وما أضن جنان الخلد يدركها إلا معاشر كانوا في التقى جهدا
يمضي النهار فما أنفك في شغل ولا أطيق إذا جن الدجى سهدا⁽¹⁾

فقد كان راغبا في الدنيا ثم رغب عنها وكان قادرا في الحالتين كان إنسانيا بين الأناسي من أجل إنسانيته كيلا تضيع أو تمان⁽²⁾. لذلك أبي على نفسه طيب الطعام ولين الثياب يقول:

يكفيك طعم جنسه واحد أطعمه ضرت بتجنيسها
والثوب في أرقك من وحشها يغنيك عن أثواب تنسيها⁽³⁾

فهو لا يمانع إذا شارك الفرس في الشعير الذي يأكله إن علا وارتفع ثمن البر، كما أن تحلته بالزبيب والشرب في الفخار بدل إناء العسجد، والاكتفاء بما يستر من الثياب، إذ يقول:

وإذا غلا البر النقي فشارك الـ فرس الكريم وسار وطرفك تمجد
واجعل لنفسك من سليط ضيائها أدما ونزر حلاوة من عنجد
وارسم بفخار شرابك لا تـرد قدح اللجين ولا إناء العسجد
يكفيك صيفك من ثياب ساتر وإذا شتوت فقطعة من برجـد⁽⁴⁾

وهو لم يكتف بهذا، بل راح يمنع نفسه من أكل اللحوم والبيض والأسماك والعسل، فتراه يقتصر على النباتات رحمة بالحيوانات، يقول:

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص36.

(2) - خليل شرف الدين في سبيل موسوعة فلسفية أبو العلاء المعري، دار مكتبة الهلال، د. ط، 1995، ص90.

(3) - المرجع نفسه، ص237.

(4) - رمضان محمود كريم، شعر المعري من منظور القراءة والتأويل أطروحة مجلس ابن رشد، د. ط، 2002، جامعة بغداد، ص109.

غدوت مريض العقل والرأي فالقني لتعلم أنباء الأمور الصحائح
 فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
 ولا بيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغواني الصرائح
 ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من أزهار بنت فوائح

.....

مسحت يدي من كل هذا فليتني أبعثُ لشأني قبل شيب المسائح

هذه الأبيات من قصيدة طويلة دعا فيها المعري عليل العقل والذين ليخبره بالصحيح من الأمور، وينصح بعدم أكل ما يخرج من الماء لأنه يعتقد أن السمك لا يخرج من الماء إلا وهو كاره، وكذلك سنصح بعدم أكل غريض الذبائح اجتنابا لإيلاهما في أثناء ذبحها، وينصح بعدم شرب اللبن لأنه يرى أنه لأطفال البهائم التي تشرب لبنها⁽¹⁾.

وهو لم يكتف بتحرим لحمه بل حتى تحريم ضربه، يقول:

يا ضارب العود البطيئ وظهره لا وزر يحمله كوزر الضارب
 أرفق به فشهدت أنك ظالم في ظالمين أباعد وأقارب⁽²⁾

ويقول:

لقد رابني مغذي الفقير بجهله على العير ضربا ساء ما يتقلد
 يحمله ما لا يطيق فإن وني أحال على ذي فترة يتجلد
 يظل كزان مفتقر غير محصن يقام عليه الجد شفعا فيجلد⁽¹⁾

(1) - محمد بك عبد الحميد، عدد خاص عن أبي العلاء المعري، مجلة الهلال، 1938، ج8، ص880.

(2) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج1، المرجع السابق، ص119.

فقد راعه ضرب البعير، فهو من فصيلة الحيوانات من دون ذنب، فمن دون شك سوف يتألم هذا البعير مما يلقاه من ضرب وأذى من الإنسان، وهذا ما أكده بقوله السابق، ويرغب في حمايته من الإنسان، يقول:

تصدق على الطير الغواذي بشرية من الماء واعددها أحق من الإنس
فما جنسها جان عليك أذيته بحال إذا ما خفت من ذلك الجنس
لقد عرفتنا قدرة أذلية فعشنا وعدنا راجعين إلى القنس⁽²⁾

لذلك يستنكر تعذيبه، يقول:

فإن قوادم البـازي بهضنه فطر إن كنت يوما ذا جناح
والزمن عليه السـجون فما نهضنه وكم طو قصصن لغير ذنب
مـذابحه عليه وإن عرضنه⁽³⁾ متى عرض الحجا لله ضاقت

في هاته الأبيات نرى كم بلغ المعري من رافة وحنية على الحيوان عموما، فتراه يتحسسه ويحس بألمه ويرغب في حمايته من كل أذية، فقد صمم على هجر اللحوم، لأن الوصول إليها تسبب ألاماها، فهو يطلب من الإنسان أن يرحم بحال الحيوان المستضعف، يقول:

لا أشرك الجددي في در يعيش به ولا أروع بنات الوحش والضمان
وإن كهمت فأمرني الله أكهمني وإن أمضيت فأمرني الله أمضاني⁽⁴⁾

ويقول موصيا بالرحمة بالحيوان بعدم التعجيل في ذبحه:

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص: 207.

(2) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص: 34.

(3) - المرجع نفسه، ص 366.

(4) - المرجع نفسه، ص 390.

روح ذبيحتك لا تجعله ميتته فتأخذ النحض منه وهو يختلج
 هذا فتبيع وعلمي غير متسق بما يكون ولكن في الثرى ألب
 والناس من أجل هذا الأمر في ظلم وما أو مل أن الفجر ينبلج⁽¹⁾

فقد أعفى نفسه عن كل هذه الأمور فعاش زاهدا قانعا بما لديه، فما أراد بذلك أن يجمع مالا أو جاها أو مجدا أو ملكا، يقول:

من مذهبي ألا أشد بفضة قدحي ولا أصغي لشرب معوج
 لكن أقضي مدتي بتقنع يغني وأفرح باليسير الأروج
 هذا ولست أود أني قائم بالملك في ثوبي أغر متوج⁽²⁾

وقد كان شديدا على نفسه حازما، عازما، ومتحديا، يكلفها من الآلام ما لا يطيق، فنراه يغسل بالماء البارد في الشتاء، يقول:

أجاهد بالطهارة حين أشتو وذلك جهاد مثلى والرباط
 مضى كانون ما استعملت فيه حميم الماء ما قدم با سباط
 تشابه أنفاس الحشرات نفسي يكون لهن بالصيف ارتباط
 لقد رقد المعاشر في ثراهم كما هيت الجعاد ولا السباط⁽³⁾

ويكون بذلك قد استغنى عن ملذات الدنيا، يقول:

وقال الفارسون حليف زهد وأخطأت الظنون بما فرسته

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 172.

(2) - المرجع نفسه، ص 183.

(3) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 74.

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عني خسنه⁽¹⁾.

إن المعري استغن عن ملذات الدنيا وما حرمها على نفسه إلا لما يعقبها من آلام ترجحها وعاش معيشة زهد وقناعة، وتواضع شديد، وكبح جامح نفسه وقيدها عن اللذات والأهواء محكما في ذلك عقله.

إلا أن هذا التعفف كان مقترنا بالتشاؤم في كثير من الأحيان، «تشاؤم يمتد ضلاله بل ظلماته على جميع مناحي الحياة وقد رأيناه يعرض بعض مناحيها السياسية والاجتماعية عرضا قائما ليس فيه أي بريق من الأمل بل فيه اليأس المضي الذي اجتاح الأمة وجعلها تنغمس انغماسا في حمئة الشر، يقول:

هو الشر قد عم في العالم بين أهل الوهاد وأهل الذرا⁽²⁾.

فالشر منتشر في كافة أنحاء العالم لا يكاد يرى المعري غيره في الوجود، لذا تراه متشائما مندفعاً في تشاؤمه شديد السواد يقول:

ألا إنما الدنيا نحوس لأهلها فما في زمان أنت فيه سـعود⁽³⁾

كما يمتنع أبو العلاء المعري عن الزواج وأن يرزق الولد ويشعر أن ذلك جناية خطيرة أن يجلب إلى عالم السوء والنحس الذي يعيشه مولودا يُعَرَّضُ لشروره، لذا يعترض عن الزواج والنسل حتى تتوقف وتتحطم الحياة البشرية، يقول:

لو أن كل نفوس الناس رائية كـرأي نفس تناءت عن خزاياها

وعطلوا هذه الدنيا فما ولدا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها⁽¹⁾

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 390.

(2) - شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 114.

(3) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 211.

والمرأة في نظره قد وقعت في فساد نتيجة الاختلاط، وهذا ما جعله لا يفكر في الاقتزان بها، وينصح الناس بأن يتبعوه في رأيه، يقول:

أشُدُّ يديكَ بما أقو ل فقول بعض الناس دُرُّ
لا تدون من النساء ء فإن غب الأري مُرُّ
والباء مثل الباء تخ فض للدناءة أو تجرُّ
سلِّ الفؤاد عن الحيا ة فإنها شر وشرُّ
قد نلت منها ما كفا ك فما ظفرت بما يسرُّ
صدف الطيب عن الطعا م وقال مأكله يضرُّ
كل يا طيب ولا خلا ص من الردى فلن تعرُّ(2)

فقد تلهي المرأة الرجال عن أعمالهم وتصرفهم عن العبادة والتقرب إلى الله، لذا كثيرا ما يدعوا إلى تجنب النساء وعدم إنجاب المزيد من الناس حتى لا يتعذبوا في هذه الأرض، يقول:

إذا درجت في العالمين قبيلة فخير لها من أن تنث خروجها
فما أمنت نسوان قوم أعـ على أن تستباح فروجها
وما تمنع الخمود الحصان حصونها ولو أن أبراج السماء يروجها(3)

فقد أساء المعري كثيرا للمرأة بكثرة شكوكه وعزوفه عن الزواج بها وخوفه على نفسه من الوقوع في الرذيلة يقول:

نصحتك لا تنكح، فإن خفت مأثما فأعرس ولا تنسل فذلك أحزم

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 857.

(2) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 220.

(3) - المرجع نفسه، ص 171

أضنك من ضعف بلبك غاديا يملك من عقد الزواج المعزم⁽¹⁾

فهو يخاف النسل وما يتجرعه من آلام نتيجة الفساد الحاصل في المجتمع؛ لذا يلح على عدم الزواج، وإن حصل فيتحرى الابتعاد عن الإنجاب، ففيه مفسدة لهم وللمجتمع، فهو خيانة يقترفها الآباء في حق أبناءهم كخيانة والده عليه، فهو يقول مؤكداً ذلك:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد⁽²⁾

اعتزال الناس

هذه المرحلة جوهرية ومهمة في حياة أبي العلاء المعري لما فيها من نضح فكري وسعة خيال وتمثيلاً للأدب العربي، فهو صادق حين قال:

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة من الفكر إلا وارتقيت هضابها⁽³⁾

إن اللزوميات التي أبدعها بقيودها من حيث الشكل، أما من ناحية المضمون فهو يبتعد عن الأغراض التقليدية المتمثلة في المدح والغزل والهجاء وغيرها، فقد انصب جل اهتمامه في عزلته على تلك القضايا الكونية والفلسفية والإنسانية التي استهوتته وقد صب هذه الهواجس والأفكار في قوالب شعرية رائعة جسدت آراءه وأماله وأفكاره، والشاعر قد خبر الدنيا بشورها مثلما لاحظنا سابقاً، لذا لا تكاد تراه إلا وهو يوصي بالابتعاد عنها وعن أنجاسها، لأن في البعد عنها طهارة، يقول:

طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكم يجني همومي وأنفاسي

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 270.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 145.

(3) - المرجع نفسه، ص 93.

عداوة الحق أعفى من صداقتكم فابعد عن الناس تأمن شر الناس
قد آنسوني بإيحاشي إذا بعدوا وأوحشوني في قرب بإيئاس⁽¹⁾

لذلك نجده يلزم بيته، فلبث تسعا وأربعين سنة في محبسه بالمعرة لم يغادر إلا مرة واحدة، لم تتكرر حين حمله قومه على الخروج، ليشفع لهم لدى أسد الدولة " صالح بن مرداس " صاحب حلب⁽²⁾.

فهو دائم الجلوس في بيته لا يبرحه إلا نادرا، فاعتزل الناس بعد أن أحس بذلك الانقسام الحاصل بينه وبين مجتمعه؛ فكتب إليهم مخبرا إياهم عن قرار العزلة، يقول « باسم الله الرحمان الرحيم هذا الكتاب إلى السكن المقيم بالمعرة شملهم الله بالسعادة، من أحمد عبد الله بن سليمان ... أما الآن فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق مجتمع أهل الجدل، وموطن بقعة السلف بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت وحلبت الدهر أشطره وجربت خيره وشره، فوجدت أوفق ما أصنعه في الحياة عزلة وبادرت أعلامهم ذلك مضاعفة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى منزل الجارية عادتي بسكناه، ليلقاني فيه فيتعذر ذلك عليه فأكون قد جمعت بين سمجين سوء الأدب و سوء القطيعة⁽³⁾.

وهذه الكلمات التي خطها المعري لأهله وناسه في المجتمع ممن عرفوه يدل بها على قطيعته وبدء العزلة يوم دخوله للمعرة. ولعل هناك أسباب كثيرة، أولها الغريزة التي ذكرها ودل عليها بشعره خاصة وأن المعري: كان رقيق الحس، شديد الفطنة، كثير الشك، وحشي الغريزة، إنسي الولادة مما أدى به إلى الابتعاد عن الناس محبا لنفسه العزلة⁽⁴⁾، وهذا ما أكده بقوله:

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص: 469.

(2) - عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، ط1، 1972، بيروت، لبنان، ص175.

(3) - الحبيب حمادي: المعري وجوانب من الزوميات، الدار التونسية للنشر، النشرة الثالثة، مارس 1984، ص46.

(4) - محمد سليم الجندي، الجامع في أخبار أبي العلاء، ج 1، ص 280، 281.

إن صح عقلك فالتفرد نعمة ونوى الأوانس غاية الإيناس (1)

إضافة إلى عامل الغريزة، فهناك من يحمل السبب في تحبيب العزلة لأنها تعزله عن النفاق على نحو ما نرى في قوله:

تخير فإما وحدة مثل ميتة وإما جليس في الحياة منافق
أردت رفيقا كي ينالك رفقته فدعه إذا لم تأت منه المرافق (2)

وقوله:

الحكم لله فالبث مفردا أبدا ولا تكن بصنوف الناس مختلطا (3)

ففي هذا التفرد وقاية من الاختلاط ودناياه، فهو يقيه أذى الدهر ولؤم الناس. تلك العزلة التي وفرت لديه الوقت

الكافي للتفكير في الكون وقد أراحته راحة عظمى، يقول:

في الوحدة الراحة العظمى فأحي بها قلبا وفي الكون بين الناس أثقال (4)

إضافة إلى فقدان بصره وعدم تواصله مع الناس، وفقد أمه وأحبابه كلها أسباب جعلت المعري يعتزل الناس وينفر

منهم، وقد جسد عزلته بقول جامع لكل الأقوال:

أراني في الثلاثة من سـجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيـتي وكون النفس في الجسم الخبيث (5)

(1) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 483

(2) - المرجع نفسه، ص 165.

(3) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 165.

(4) - المرجع نفسه، ص 512.

(5) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 167.

أبا العلاء لم يكتف بالسجن الذي فرضته الطبيعة عليه فرضاً حين أفقدته نظره كما يقول، وإنما فرض على نفسه سجنين آخرين. أحدهما ظاهر محس، وهو البيت الذي لزمه أبو العلاء المعري وفرضه على نفسه وتعهده بعدم الخروج منه مهما بلغته من ظروف وسجن ثالث هو سجن فلسفي تخيله كما يتخيل الشعراء، واشتقه من حقائق الأشياء كما يفعل الفلاسفة، هذا السجن الخيالي الفلسفي هو الجسم الذي أكرهت النفس عليه⁽¹⁾.

ولكن عزلته لم تكن كما شاء أبو العلاء فالتف حوله الطلاب واشتغل بالتعليم والتأليف، فما باختياره كان يلقي زواره، فاقترحوا عليه، عزلته، فشغلوه وشغلوا به على كره منه⁽²⁾.

ف عزلته عادت عليه بالخير الكثير في مجال التأليف والإبداع، فعكف معتزلاً في بيته مفجراً مواهبه وطاقاته الإبداعية، فخلف ما شوهد من روائع في الشعر والنثر، وهذا ما أكده بقوله:

رضيت ملاوة فوعيت علما وأحفظني الزمان فقلل حفطي

إذا ما قلت نثراً أو نظماً تتبع سارقو الألفاظ لفظي⁽³⁾

إذن ما لمح من خلال هذه الإطلالة المتفحصة والمتعمقة في أشعار المعري تبين أن هذا الأخير استعمل مواضيع عديدة تمت معالجتها من قبل بالتفصيل كموضوع الاغتراب عن الدنيا بملذاتها، لأنها في نظره ما هي إلا دار شرور وبؤس وشقاء لا ينعم الإنسان فيها بالراحة ولا يهدأ له بال ولا يحس بالاستقرار، لأنه يعتبرها دار مرور إلى حياة أخرى آمنة مستقرة.

(1) - طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، ط10، د. ت، مصر، ص ص 32، 33.

(2) - جعفر خريباتي، أبو العلاء المعري رهين الحبسين، دار الكتب العلمية، ط 1، 1986، بيروت، ص52.

(3) - أبو العلاء المعري، الزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص83.

كما ظهرت فكرة الموت عنده والتي اعتبرت كموضوع مهم عنده فبه يتم الخلاص من هذه الدنيا التي سببت له الكثير من المتاعب وبه ينتقل من حياة الدنيا الزائفة إلى حياة الآخرة، تلك الحياة التي باتت حلما يراود المعري يريد به الخلاص، كما أنه المنفذ الوحيد لرؤية من فارقهم في دنياه كأمه وأصحابه ممن يعز عليه فراقهم.

فهذه المواضيع وغيرها كانت تشكل أشعار المعري في ديوانيه الزوميات بجزئيه وقد ساهمت بعض العوامل مثل التي عرج إليها سابقا كفقدان بصره الذي ساعد إضافة إلى العوامل الأخرى المذكورة سابقا في إذكاء هيب الاغتراب والانعزال عند المعري، فعميه جعله ينأى عن المجتمع كله مخافة من السخرية، إضافة إلى زهده وورعه الذي كان عاملا مساعدا على الانفصال عن الناس، الأمر الذي ساهم في تفجير مواهبه وطاقاته الإبداعية.

الفصل الثالث:

ماهية الموت وصفاته من

خلال لزوميات المعري

ماهية الموت عند المعري من خلال لزومياته:

من خلال البحث في موضوع الموت من خلال لزوميات المعري نجد أنه يمثل أو يضع صورا وافتراضات لمفهوم الموت، متأثرا بالثقافة الإسلامية والتي نذكرها فيما يلي:

(1) الموت نوم طويل

والموتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ مَالَهُ أَمَدٌ وَالنَّوْمُ مَوْتُ قَصِيرٌ فَهُوَ مُنْجَابٌ⁽¹⁾

فالنوم موت قصير وسينقضي ويكون بعده البعث والانكشاف، على عكس الموت الذي هو نوم طويل وغياب وتلاشي، فإطلاق الموت على النوم مجازا لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن.

وهو متأثر بالثقافة الإسلامية في هذه المقاربة، إذ أن النوم آية من آيات الله التي ينقطع فيها الإنسان ويفقد فيها إحساس اليقظة والاتصال بما حوله، أشارت إليه الآيات بما وصفه العلماء الوفاة الصغرى، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 60].

(2) الموت داء معدي

لَا يُعْجَبَنَّ الْفَتَى بِفَضْلِ وَالِدِهِ حَتَّى يَمُوتَ بِمَوْتِهِ وَحَتَّى يَمُوتَ بِمَوْتِهِ وَحَتَّى يَمُوتَ بِمَوْتِهِ
وَالِدُهُ حَصَّةٌ بِعَدْوَى مِمَّنْ مَوْتِهِ وَالْحِمَامُ يُعْدِي⁽²⁾

يقول المعري أنه لا يجب على الإنسان أن يعجب بما حققه من فضل في الحياة لأن نهايته ستكون بالموت الذي سيصيب كل الناس بطريقة تشبه العدوى.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 98.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 415.

جعل المعري الوالد يخص ابنه بالموت مع أنه من المتعارف عليه أن الأب هو أقرب الناس للابن، وهذا يدل على حتمية الموت وأنه لا مفر منها، وهو عند المعري دليلٌ على خطأ الآباء في إيجاد الأبناء بالإنجاب مع علمهم أن المصير هو الفناء.

وعد المعري للموت بأنه داء نجد له جذورا في التراث الإسلامي، في قوله ﷺ: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام" قال ابن شهاب: والسام الموت.

والموت في الحقيقة ليس داءً، وإنما هو عدم وفناء، وقد يكون اعتباره بأنه داء من قبيل المبالغة، فهو أشد من المرض؛ لأن المرض داء يُضْعَفُ والموت يُعْدِمُ، أو قد يقصد بالداء هنا المرض الذي عند الموت وفراغ الأجل

لأنه لا ينفع فيه الدواء»⁽¹⁾. فلكل نفس أجلها، قال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾

[آل عمران: 145]

(3) الموت حظ:

الموتُ حَظٌّ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَلَيْسَ فِي الْعَيْشِ أَنْ تُؤَمَّلَ حَظٌّ
لا سِيَّما لِلَّذِي يُحَظُّ عَلَيْهِ ال وَرَزُّ إِنْ قَالُوا أَوْ رَنَا وَحَظٌّ⁽²⁾

يرى المعري أن الموت حظ وأن الحياة لا حظ فيها ولا أمل ولا تجلب إلا التعاسة والشقاء، وهي تكون أكثر تعاسة على من يكتب له في صحيفته الأوزار والذنوب، فيكون من الأفضل له أن يموت ومن حظه أن يموت وذلك حتى لا تزيد ذنوبه يوما بعد يوم.

(1) - دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، الملحق 4، 2016، هدى محمد قزح التجربة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعري الموت أمودجا، ص1902.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص100.

ورؤية المعري للموت على أنه حظ، أرى أنه حظ فعلا ولكن لمن أحسن العمل في الدنيا وعمل عملا صالحا، حينها يكون مشتاقا للقاء الله لما يترتب على هذا اللقاء من الجزاء والتَّعِيم، قال ﷺ: "من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كرهَ لقاءَ الله كرهَ لقاءه". (1)

(4) الموت فرض:

تَبَارَكَتْ إِنَّ الْمَوْتَ فَرَضَ عَلَى الْفَتَى وَلَوْ أَنَّهُ بَعْضُ النُّجُومِ الَّتِي تَسْرِي
وَهَوَّانَ مَا نَلَقَى مِنَ الْبُؤْسِ أَنَّنَا بَنُو سَفَرٍ أَوْ عَابِرُونَ عَلَى جِسْرِ (2)

يقول المعري أن الموت فرض على كل إنسان، وهو كأس لا بد شاربه، مهما علا شأنه وموقعه ومكانته ولو كان مع النجوم التي تسري فهو أمر لا مفر منه، ثم يضيف فيقول أن ما يهونُ عليه هموم الحياة وبؤسها هو أنها لن تدوم أبدا وأن نهايتها ستكون بالموت، فهو يرى أن الموت راحة من متاعب الحياة، كما شبه الحياة بمسافر يعبر جسرا تكون نهايته و بالموت.

اعتبار المعري الموت فرض لا مفر منه هو حقيقة، إذ أن الموت عام لكل البشر يقول عز وجل: ﴿لنحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا لَنَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: 60] وقال تعالى: ﴿أَئِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78]، فالناس جميعا، صائرون إلى الموت، لا محالة، ولا ينجو منه أحد كان من كان حتى رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34]. والحياة الدنيا جسر ومطية ووسيلة عبور للحياة الآخرة ومزرعة نحصد في آخرتنا ما قد زرعه فيها.

(1) - البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، 2002، بيروت لبنان، ص: 1618.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص373.

5) الموت غاية:

وَأَعْلَمُ أَنَّ غَايَتِي الْمَيَايَا فَصَبْرًا تِلْكَ غَايَةَ كُلِّ قَوْمٍ⁽¹⁾

يرى المعري أن الموت هو غاية كل البشرية، كما نجده يدعوهم إلى الصبر وانتظار وصول الأجل. فالموت عنده غاية للتخلص شرور الحياة وشقائها، وهو لم يتكلم عن نفسه فقط بل جمع كل الناس معه في هذه الغاية، وربما يريد أن يقول أن لكل إنسان أجله و أن كل إلى الموت سائر.

القول أن الموت غاية كل حي، ليس الأمر كذلك، لأن الله تعالى حين خلقنا بين سبب الخلق فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الداريات: 56]، ومن عبادة الله بقاء المخلوق المكلف بعبادته حيا، وما الموت سوى انتقال من حال إلى حال، فالموت خروج من الدنيا إلى عالم البرزخ، ومن عالم البرزخ بعدها إلى يوم القيامة، ثم إما الثواب أو العقاب.

6) الموت مزيل النعم

أَلَا فَانْعَمُوا وَإِحْدَرُوا فِي الْحَيَاةِ مُلِمًّا يُسَمَّى مُزِيلَ النَّعْمِ⁽²⁾.

في هذا البيت يظهر أن المعري لم ينقطع تماماً عن الحياة، لذلك طلب من البشر أن ينعموا فيها، ولكنه يحذرننا من أن نسرف في تنعمنا، لأنه سيحل بنا الموت ويزيل كل النعم.

كأن المعري يريد أن يبين مدى وحشية الموت وأنه عند قدومه ستحل المصائب وتزال النعم. إن وصف المعري للموت بأنه مزيل النعم يعود إلى مرجع ديني، كما في قول رسول الله ﷺ "أكثرنا من ذكر هادم اللذات: الموت". والهادم: القاطع ومزيل اللذات، وهذا الحديث يعني: اجعلوا الموت على بالكم كثيراً حتى تعدوا العدة للآخرة.

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص340.

(2) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص320.

ثنائية الموت والحياة في لزوميات المعري:

(1) دم الحياة وشقاؤها:

عاش المعري في العصر العباسي في فترة وصل فيها المجتمع إلى دركات الفساد، حيث بلغ المستوى الأخلاقي في المجتمع الذي عاش فيه المعري من الانحطاط درجة قصوى فكثرت اللهو، وشاع السكر، وانتشر الفسق، وهذه الآفات هي أمهات الرذائل الاجتماعية⁽¹⁾، وهذا سبيل لأن يذم المعري عصره ويحاول الاعتزال ويتضح ذلك في قول المعري:

الْحَيَّرُ بَيْنَ النَّاسِ رَسْمَ دَائِرٍ وَالشَّرَّ نَهْجَ وَالْبَرِّيَّةَ مُعَلِّمٌ
طَبَعَ خَلَقَتْ عَلَيْهِ لَيْسَ بِزَائِلٍ طُولَ الْحَيَاةِ وَآخِرِ مُتَعَلِّمٍ⁽²⁾

في البيتين يرى أبو العلاء المعري أن صفة الشر متجذرة في الإنسان، منذ خلقه الله على سطح الأرض، والفساد متصل بتكوينه، ولهذا لم يرجوا الصلاح للبشر، حتى أنه لم يستثني نفسه من هذا الشر، وهو أمر مقدر على كل البرية. فطبيعة الإنسان الشريرة جعلت أبو العلاء المعري يفضل السجن والعزلة، كما تمتلئ حياته تشاؤما وحسرة لما لحق بلاده وأهلها من فساد وانحلال أخلاقي وذلك في قوله:

وزهدني في الخلق معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباءً⁽³⁾

غير أن المعري نجده لا يذم الحياة ولكن يعيب أهلها ومن عاشرهم في مجتمعه، وهذا عائد لما لحقه منهم من أذى ومكر وخداع وذلك في قوله:

أَهْوَى الْحَيَاةَ وَحَسْبِي مَنْ يَعْيبُهَا أَنِّي أَعِيشُ بِتَمُومِيهِ وَتَدْلِيْسِ
فَكُنْتُمْ حَدِيثَكُمْ لَا يَشْعُرُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ رَهْطِ جَبْرِيلَ أَوْ مِنْ رَهْطِ إِبْلِيسِ⁽¹⁾

(1) - كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري الجامعة الأمريكية، بيروت - لبنان، د. ط، 1942م، ص 156.

(2) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 282.

(3) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 34.

واجه أبو العلاء المعري مند نعومة أظافره حياة صعبة فأصيب بالجدري الذي أودى بنظره فحرم متعة النظر والتلذذ بمباهج الحياة ومفاتيحها، كان عماء الحافز المباشر ... فوراء هذا الحافز نفس قلقة لو أعطيت ألف نور ... في ألف مشكاة لما حدث عن عنفها المدمر، وحرفها اللهب تحرق به شواذ الأشياء ... ولا تطمئن إلا على ركام الرماد⁽²⁾، يقول في ذلك:

عمى العين يتلوه عمى الدين والدجى فليلتي القصرى ثلاث ليالي⁽³⁾

وعما المعري كما ذكرنا سابقا لم يكن الدافع الوحيد وراء تشاؤمه بل أفكاره وآراؤه التي لم تجد ترحيبا في وطنه كانت أحد الأسباب التي دعت إلى تشاؤمه واعتزاله الناس، ليصنع لنفسه عالما خاصا به بعيدا كل البعد عما يدور خارج جدران عقله وبيته وفي هذا يقول:

لحا الله قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ بِصَدَقِ الْأَحَادِيثِ قَالُوا كُفْرًا⁽⁴⁾

فقومه وما اشتهروا به من فساد لم يستطيعوا تقبل ما جاء به المعري من حقائق، تثبت تورطهم في الفساد وانغماسهم في الرذائل، فنبذوه وخالفوه حتى لقي منهم أشد أنواع الصد، اتهموه أيضا بالكفر والزندقة.

كما ذكرنا سابقا أن المعري أصيب بالجدري الذي أفقده نظره ثم مات أبوه وهو صغير و ما كانت جراحه تلتئم حتى فجع بموت أمه، و همومه لم تتوقف عند هذا الحد فقد ناصبه كثير من الناس العدا و أصبح محسودا مبغضا عند كثير من الناس في عصره، أصبح يصور الحياة بصورة قائمة فما هي إلا أطوار من البلاء و الشقاء و في هذا يقول:

وقد بلونا العيش أطواره ما وجدنا فيه غير الشقاء⁽¹⁾

(1) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص42

(2) - خليل شرف الدين: المرجع السابق، ص14.

(3) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص224.

(4) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص436.

فقد مر في حياته بأطوارٍ من البلاء والشقاء جعلته يكره الحياة.

أَخُوكِ مُعَذِّبٌ يَا أُمَّ دَفْرٍ أَظْلَتُهُ الْخُطُوبُ وَأَرْهَقَتَهُ

وما زالت معاناة الرزايا على الإنسانِ حَتَّى أَزْهَقَتَهُ

كَأَنَّ حَوَادِثَ الْأَيَّامِ أَمَّ شَرِيقٌ بِجَهْلِهَا مَا أَدْهَقَتَهُ

تَرَوْقُكَ مِنْ مَشَارِبِهَا بِمُرٍّ وَكُلُّ شَرَابِهَا مَا رَوَّقَتَهُ⁽²⁾

من خلال هاته الأبيات نجد المعري يخاطب الدنيا ويكنيها بأُم دفر، وهو لقب قديم أطلقته العرب على الدنيا كراهة واحتقارا لها لما فيها من خطوب ومشاكل، فالشاعر يعدد سلبياتها فنجده يشبهها بالأُم التي تبني على أبنائها بجهلها، فالدنيا لم تجلب على الناس غير الهموم والأسقام لهذا نجد أن المعري يذمها وينظر لها نظرة سوداوية.

ويقول أيضا:

أرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا خَمُودَ شُرُورِهَا فَتَوَقَّدُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ نَارَهَا⁽³⁾

لا يرتجى أبي العلاء المعري من هذه الدنيا إلا أن تكف وتحمد شرورها عنه، ولكنها تطبق العكس فتلهب في صدره نار الهموم والشقاء.

ويقول أيضا:

أما الحياة ففقر لا غنى مَعَهُ والموت يُغْنِي فَسُبْحَانَ الَّذِي قَدَّرَا

لو أنصف العيش لم تدم صحابته وما غَدَرْنَا وَلَكِنْ عَيْشُنَا غَدَرَا⁽¹⁾

(1) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 67.

(2) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 410.

(3) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 356.

فالحياة في نظر المعري لم تمنح الإنسان غير الفقر والمصائب، فهو يجد في الموت الغنى كله، ويجعل غنى الموتة فقر الحياة أمر مقدر من الله عز وجل، ويبرر ذمه للعيش بأنه غادر لم ينصف أحدا. وكان يرى أن الإنسان إذا دعا لك بالحياة فإنما دعا عليك، وفي ذلك يقول:

دعالي بالحياة أخو ودادٍ رويدك إنما تدعو علياً⁽²⁾

ولم يتوقف أبو العلاء المعري عند هذا الحد بل مضى يعري الحياة للناس ويكشف مساوئها ويدعوهم للإعراض عن الدنيا نظراً لانعدام الخير فيها، يقول:

لو كنت رائد قومٍ ظاعنين إلى دنياك هذي، ل ما أَلَعَيْتَ كَذَابا
لقلتَ تلك بلاد نبتها سَقَمٌ وماؤها العذب سَمٌ للفتى ذابا
هي العذابُ فُجِدُوا فِي تَرَحُّلِكُمْ إلى سواها، وخَلُوا الدارَ إِعْذَابا
وما تَهْدَبُ يومٌ من مكارهاها أو بعضُ يومٍ فحدوا السيرَ إِهْذَابا
حَبَّرْتَكُمْ بيقينٍ غيرِ مؤنْسِبٍ ولم أكن في حبالِ المينِ جذابا⁽³⁾

فألأنه يشفق على الناس يعلن لهم أنه لو كان قائداً لهم ودليلاً للماء والكأ والخير في الدنيا لما أرشدهم إليها لكونها على حد قوله خالية من النفع وكل ما فيها ضار فمأؤها سم زعاف ونبتها سقام فيجب أن يهجروها حتى لا يصابوا بأذاها فالدنيا عند أبي العلاء بغیضة وهي دار ألم وأوجاع وشدائد ومصائب وعلى الإنسان أن يرحل عنها سراعاً.

(1) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 360.

(2) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 441.

(3) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 99.

(2) الموت راحة:

كما ذكرنا آنفاً أن أبا العلاء المعري قد سئم من الحياة ومل العيش فيها من آثام وشرور فهي نقمة على الإنسان ودار بلاء، كل شيء فيها جعل المعري يمجتها وناسها وهذا ما جعله يفضل الموت، احتقاراً وكرهاً لها، وخلص إلى أن الدنيا وما فيها عبارة عن سجن كبير، لن يتحرر منه إلا عن طريق الموت، فالعاقل يؤثر راحة الموت على عناء الحياة ويستعد لساعة الرحيل ويرحب بالموت متى جاء⁽¹⁾.

ومحبة أبي العلاء للموت ليس بالشيء الغريب فهو منعزل عن شؤون مجتمعه، منصرف عن ملذاتهم، كما نجد «لأبي العلاء فلسفة خاصة للموت في رأيه حقيقة أزلية والفناء ضرورة للوجود⁽²⁾ ويقول فيه:

أن يقرب الموت مني فلست أكره قربه
وذاك أمنع حصن يصير القبر دريه⁽³⁾

وهذا يوضح مدى رغبته في الموت وعدم خوفه منه، فهو ثابت لا يزول عكس الدنيا الزائلة بكل ما فيها الجالبة للهموم والمصائب. فنجده يقول في راحة الموت:

حياتي تعذيب وموتي راحة وكل ابن أنثى في التراب سجين
أقبري بوهدي أم وجين أحله فإن أديم الآدمي وجين⁽⁴⁾

(1) - كمال خليل اليازجي، المرجع السابق، ص331.

(2) - محمد عبد الله عنان، وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده، مجلة الهلال، ج8، مج 46، القاهرة - مصر، 1938م، ص923

(3) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 107، 108.

(4) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص342.

فالموت في نظر المعري نجاة من عذاب الدنيا وهمومها التي لحقته وكانت سبب عزلته، فرغبة البشر وحبهم للحياة والبقاء على قيدها، قد أفسدت عقولهم وعيونهم عن إدراك فناء الأشياء وزوالها، كما يعد الفساد الذي يملأ مجتمع الشاعر سببا آخر لمقت الحياة. ويقول ترغيبا في الموت:

أهلا بغائلة الردى وإيابها كيما تسترني بفضل ثيابها
دنياك دار إن يكن شهادها عقلاء لا ييكونوا على غياها⁽¹⁾

ويقول أيضا:

تعالي رازق الأحياء طرا لقد وهت المروءة والحياء
وإن الموت راحة هبرزي أضربليه داء عـيـاء⁽²⁾

المعري يرى في الموت راحة وسكينة للرجل الذي أعياه وفتك بجسده المرض رغم جماله وحسن بهائه، وسيفضل راحة الموت على أن يبقى حيا يصارع المرض دون أمل في الشفاء.

فالمعري يرى أن للموت ميعاد معلوم، وهو آت لا مهرب منه فالذي لا يموت اليوم سيموت غدا، وما أقرب اليوم من الغد فكل آت قريب وعلى هذا فما أقرب الأحياء من الأموات⁽³⁾، في هذا الشأن يقول:

وللموت كأس تكره النفس شربها ولا بد يوما أن نكون لها شرب⁽⁴⁾

كما أن المعري قبل أن يعتزل الناس كان محبا للحياة كارها للموت ولكن بعد ما شاهده من فساد مجتمعه انقلب الوضع فأصبح طالبا للموت راغبا فيها، فهي الخلاص بالنسبة له من حياة مليئة بالذائل ويقول في ذلك:

(1) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 135.

(2) - المرجع نفسه، ص 41-42.

(3) - حسين أحمد عبد الحميد عبد السلام الموت في الشعر الجاهلي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة - مصر، 1991م، ص 131.

(4) - أبي العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 92.

قد بما كرهت الموت والله شاهد
 وأحسبه لو جاءني لأبيته
 وقد عشت حتى أسمحت لي قروني
 ومن عند ربي نصرتي ومعونتي
 إذا أنا واراني التراب فخلني
 وما أنا فيه قد كفيت مؤونتي⁽¹⁾

ونلاحظ أن المعري كان يكره حقيقة الموت في القديم ربما لأنه لم يتوصل إلى كره الحياة والعيش فيها، قد كان لازال في شبابه معم بالحركة و الحماس متفاعلا تواقا إلى العيش أكبر قدر لكي يحصل فيها على أعلى المراتب و أسماها من علم و وجاهة إذ لم تضنه الحياة و تتعبه بمشاكلها و مصائبها، فلم يتوصل بذلك إلى الشقاء الذي بات يتكبده و المعاناة التي كان يتجرع مرارتها كل يوم و ليلة مثلما وصل إليه في شيخوخته. ثم لا نلبث أن نجد المعري مشتاقا إلى الموت لأنه سئم الحياة وملها، فبات مؤمنا به تواقا لملاقاته، وقد تمناه بعد الخمسين من عمره فيقول:

إذا كنتُ قد جاوزت الحسين حجة
 وما أتوقى والخطوبُ كثيرة
 ولم ألق خيرا فالمنية لي ستـرُ
 من الدهر إلا أن يجلّ بي الهـترُ⁽²⁾

فهو بذلك بعد هذا السن يدعو ربه بأن يرحله لأنه أطال البقاء

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة
 وكان من ألفت الدنيا عليه أذى
 محشية لاعتراها القوم أفواجا
 يؤمها تاركا للعيش أمواجا
 أكأس المنية أولى بي وأروح لي
 من أن أكابد إثراء واحواجا⁽³⁾

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص ص170، 171.

(2) - المرجع نفسه، ص280.

(3) - المرجع نفسه، ص177.

المعري يرى أن طرق الموت للوصول إليه صعبة، فلولا الصعوبة والمشقة في الوصول إليه بحسب رأيه لذهب إليه كل الأقسام للخلاص من هذه الدنيا، كما أكد على أحقية الموت بالنسبة له للاستراحة من هذه الحياة التي أتعبته وأزقتة من دون شك.

فهو يرى أن الموت كافية شافية لا يطلب المرء فيها قوتا ولا ملبسا كافية بذاتها عن كل الملذات، كما يجد في محبة الناس مينا عليه ولكن محبة الله أعظم وأجمل، لهذا شوقه للموت وعدم رهبته منها تزداد يوما بعد يوم حيث يقول:

ولم يجبني أحد نعمة ولكن مولى الموالي حبا
نصحتك فاعمل له دائما وإن جاء الموت فقل مرحبا⁽¹⁾

فهو ينصح الناس بالعمل للآخرة وعدم الانصياع لشهوات النفس، حتى إذا جاءتهم الموت قالوا مرحبا لأنهم سيرحلون ونفوسهم طاهرة خالية من الذنوب والآثام.

ويذكر المعري أن الموت قدر محتوم على الأحياء كلهم فهو كالوادي الذي لا محالة سنهوي به جميعاً لكننا في غفلة عن الزاد الكافي لهذا المصير المحتوم، يقول في هذا:

واد من الموت الزؤام وكلنا أشفى ليدفع فوق حرف الوادي
سفر يطول من الأنام على كرى من غفلة وكرى من الأزواد⁽²⁾

فالموت فضيلة عند أبي العلاء على الرغم من أن الناس يخافونه وذلك لأنه طريق صعب لا يجتازه المرء متى شاء ولو لم يكن الموت نفسياً لسهل نواله مثل سهولة عدوان اللئيم على الضعيف، حيث يقول:

ويدلني أن الممات فضيلة كون الطريق إليه غير ميسر

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص111.

(2) - المرجع نفسه، ص323.

ولا لنفاسته لسهولة نهجه كأذى الضعيف على لئيم المكسر⁽¹⁾

كما ذكرنا سابقا أن المعري مند صغره البلاء و الشقاء و ذلك لأنه أصيب بالجدري الذي أفقده نظره ثم مات أبوه و هو صغير و ما كانت جراحه تلتئم حتى فجع بموت أمه، و همومه لم تتوقف عند هذا الحد فقد ناصبه كثير من الناس العدا و أصبح محسودا مبغضا عند كثير من الناس في عصره، فأصبح يصور الحياة بصورة قائمة فما هي إلا أطوار من البلاء و الشقاء و هذا ما دفع المعري إلى كره الحياة و اعتزال الناس النفور منهم، و أصبح يفضل الموت، احتقارا و كرها للحياة، و خلص إلى أن لا خلاص و لا تحرر منه الحياة و شقائها إلا عن طريق الموت، الذي اعتبره أمر محتوم و راحة و فضيلة.

أبو العلاء المعري وخلال مراحل حياته، وجدناه في شبابه يخاف الموت ويهابه، إلا أنه عند كبره واختباره للحياة وجدناه قد كره الحياة وأحب الموت ورحب به، فنجد صراعا يعيشه المعري بين حب الدنيا ومقتها، بين الفزع من الموت والترحيب به، فلهذا يمكن أن نجده وصف الموت بصفات مختلفة، منها الإيجابية، ومنها السلبية، وهذا ما نبينه فيما يلي إن شاء الله.

صفات الموت في لزوميات أبي العلاء المعري

إن الموت معروف بالصفات، لا بالتجربة الشخصية؛ لأنه ليس هناك من أب بعد الموت حتى يشرح لنا ما لاقى وما رأى، لأن الموتى يعيشون في الحياة البرزخية حتى القيامة، وهي من الغيب، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)﴾ [المؤمنون: 100]. وكتساؤل نقول: كيف كانت عاطفة المعري اتجاه الموت؟

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص474.

عند دراستنا لموضوع الموت وجدنا أن أبو العلاء المعري قد عبر عن عدد من العواطف اتجاه الموت منها عاطفة الحب جبراً، و هذا باعتبار أن الموت هو الحل الوحيد لديه للخلاص من شقاء الحياة وبلائها وإلا فما كان ليحب الموت بدون سبب، حيث يقول:

أن يقرب الموت مني فلسـت أكره قـربه
وذاك أمنع حصن يصـير القـبر دريه⁽¹⁾

كما نجد كذلك عاطفة الخوف من الموت والرهبنة، وأول حياته وجدنا عاطفة الكره للموت حيث يقول:

قدما كرهت الموت والله شاهد وقد عشت حتى أسمح لي قروني⁽²⁾

ويقول إنه لو خير بين الحياة والموت لاختار الحياة ولكن لا حيلة له في الاختيار يقول في هذا:

وَلَوْ خَيْرْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَحَلِّي فَأَسْكُنُ فِي مَضِيقٍ بَعْدَ رَحْبِ⁽³⁾

ويقول كذلك:

وللموت كأس تكره النفس شربها ولا بد يوماً أن نكون لها شرب⁽⁴⁾

فنجد صراعاً يعيشه المعري بين حب الدنيا ومقتها، بين الفرع من الموت والترحيب به، فلهذا يمكن أن نجد

وَصَفَ الموت بصفاتٍ مختلفةٍ، منها الإيجابية، ومنها السلبية، وهذا ما نبينه فيما يلي:

(1) - أبو العلاء المعري اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 107-108.

(2) - المرجع نفسه، ص 170، 171.

(3) - المرجع نفسه، ص 128.

(4) - المرجع نفسه، ص 92.

1- صفات الموت الإيجابية

1/ الموت طيب

يشبه أبو العلاء الموت بشراب طيب، لكنه يشترط أن يأتي الإنسان بعمل صالح عند لقاء الله عز وجل يوم القيامة، فعمله هو الذي يحدد أطيّب شرابه أم لا، حيث يقول:

مَا أَطْيَبَ الْمَوْتَ لِشُرَابِهِ إِنَّ صَحَاً لِلْأَمْوَاتِ وَشُكُّ التَّقَاءِ⁽¹⁾

2/ الموت خير

والموت في نظر المعري خير طريق للناس أجمعين وإن خافوه وتهيّبوه، حيث يقول:

لَعَلَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ لِلْبَرَايَا وَإِنْ خَافُوا الرَّدَى وَتَهَيَّبُوهُ⁽²⁾

3/ الموت راحة

عندما ساء ظن المعري بالناس وأحس بمتاعب الشيخوخة وآلامها، اعتبر الموت راحة للإنسان من أعباء الحياة فهو يفضل راحة الموت على أن يبقى حيا يصارع المرض دون أمل في الشفاء يقول في هذا:

وَإِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً هَبْرَزِيٍّ أَضَرَ بِلَبِّهِ دَاءٌ عَيْسَاءِ⁽³⁾

يعتبر المعري الحياة عذاب ومعاناة والموت راحة ويجعل الدنيا سجن لا خروج منه إلا بالموت حيث يقول:

حَيَاتِي تَعْدِيْبٌ وَمَوْتِي رَاحَةٌ وَكُلُّ ابْنِ أَنْثَى فِي التُّرَابِ سَجِينٌ⁽⁴⁾

ويقول:

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 59.

(2) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 416.

(3) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 42.

(4) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 342.

يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْمَمَاتِ وَكَوْنِهِ إِرَاحَةً حِسْمٍ، أَنَّ مَسَلَّكَهُ صَعْبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ يَلْقَاكَ دُونَهُ شِدَائِدٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَجَبَّ الرَّعْبُ⁽¹⁾

فأبو العلاء جعل الموت أفضل من الحياة وحاول أن يدلل على صحة نظريته عندما أجرى مقارنة بين الموت بوصفه راحة الجسم من عناء الدنيا ومشاقها، وبين الحياة مستقر تلك المتاعب.

4/الموت عادل

ويصور المعري عدالة الموت، هي تستر عيوب الناس، وأن الموت يغني كل محتاج والعيش يفقر كل غني وأن شر الحياة لا يمكنه أن يصل للأموال:

مَا أَعْدَلَ الْمَوْتِ مِنْ آتٍ وَأَسْرَهُ فَهَيَّجَنِي فَإِنِّي غَيْرُ مُهْتَاجٍ
الْعَيْشُ أَفْقَرُ مِنَّا كُلِّ ذَاتِ غِنِيٍّ وَالْمَوْتُ أَعْنَى بِحَقِّ كُلِّ مُحْتَاجٍ
إِذَا حَيَاةٌ عَلَيْنَا لِلْأَذَى فَتَحَتْ بَاباً مِنَ الشَّرِّ لِقَاةً بِإِرْتَاجٍ⁽²⁾

5/الموت هدوء

يجد المعري في الموت الهدوء والطمأنينة وينتظر لفاغ الصبر انتهاء وقته في الحياة وقدم أجله:

مَتَى يَتَقَضَى الْوَقْتُ وَاللَّهُ قَادِرٌ فَسَسْكُنُ فِي هَذَا التُّرَابِ وَنَهْدًا
بِحَاوِرِ هَذَا الْحِسْمِ وَالرُّوحُ بُرْهَةً فَمَا بَرِحَتْ تَأْذَى بِذَلِكَ وَتَصَدَّ⁽³⁾

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 130.

(2) - المرجع نفسه، ص 201، 202.

(3) - المرجع نفسه، ص 38.

6/الموت عيد

جعل المعري الموت عيد والحياة صوم، فالصائم يمتنع عن ملذات الحياة وهي في تناوله، حيث يقول في ذلك:

صُمْتُ حَيَاتِي إِلَى مَمَاتِي لَعَلَّ يَوْمَ الْحِمَامِ عِيدٌ⁽¹⁾

أَنَا صَائِمٌ طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا فَطَرِي الْحِمَامُ وَعِنْدَ ذَلِكَ أُعِيدُ⁽²⁾

7/الموت فضيلة

يؤكد أبو العلاء المعري فضيلة الموت وخيرته على الحياة، ويعطي الدليل في كون الطريق إلى الموت غير ميسره، فلو لم

يكن الموت نفيساً لسهل نواله مثل سهولة عدوان اللئيم على الضعيف حيث فيقول:

وَيَدُلُّنِي أَنَّ الْمَمَاتِ فَضِيلَةٌ كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرٌ مُيسِرٍ

لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسَهَلَ نَهْجُجُ كَأَذَى الضَّعِيفِ عَلَى لَيْئِمِ الْمَكْسِرِ⁽³⁾

8/الموت شفاء

يعد المعري أن الحياة داء وعلة والموت شفاء من شقاء الحياة حيث يقول:

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا عِلَّةٌ بِرُؤُوسِ الرَّذَى فَخَلِّي سَبِيلِي أَنْصَرِفَ لِطَيِّبَاتِي

ويقول أيضا:

وَالْعَيْشُ سَقَمٌ لِلْفَتَى مُنْصَبٌ وَالْمَوْتُ يَأْتِي بِشِفَاءِ السَّقَامِ⁽⁴⁾

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص 245.

(2) - المرجع نفسه، ص 249.

(3) - المرجع نفسه، ص 408.

(4) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص 339.

9/الموت يساوي بين الناس

يبين أبو العلاء المعري أن الموت يساوي بين الناس غنيهم وفقيرهم، لذا يجب الترحيب بالموت يقول في ذلك:

هُوَ الْمَوْتُ مُتْرٍ عِنْدَهُ مِثْلُ مُقْتَرٍ وَقَاصِدُ نَهْجٍ مِثْلُ آخَرَ نَاكِبٍ
نَصَحْتِكَ دَائِمًا فَأَعْمَلْ لَهُ دَائِمًا وَإِنْ جَاءَ مَوْتٌ فَقُلْ: مَرْحَبًا⁽¹⁾

10/الموت فجر

يعتبر المعري الموت فجراً ونور وضياء والحياة دجى وظلام وسواد حيث يقول:

مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ فَالْعَيْشِ دُجَى وَجَمَامُ الْمَرْءِ كَالْفَجْرِ سَطَعَ⁽²⁾

2- صفات الموت السلبية

إن الموت مأساة الإنسانية الكبرى، فالإنسان ينزع عن الدنيا مكرها، لما فطر عليه من حب الدنيا فالمعري رغم كرهه للحياة وأهلها، ورغم ما صادفه من متاعب إلا أنه تشبث بالدنيا؛ فالمعري لم يستطع إخفاء كرهه الغريزي للموت، لخوفه منه لذا فهو يستغيث قائلاً:

أَنْبَأْنَا اللَّبَّ بِلُقْيَا الرَّدَى فَالْعَوْتُ مِنْ صِحَّةِ ذَاكَ النَّبَأِ⁽³⁾

وخوف الإنسان من الموت غريزة تلازمه من طفولته حتى نزول القبر، فنستطيع أن نجد صفات سلبية عبر عنها المعري في لزومياته وهي قليلة نذكرها فيما يلي:

(1) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص109.

(2) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص101.

(3) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، المرجع السابق، ص53.

1/الموت تائر

يصور أبو العلاء الموت بتائر يفتك بالناس ويصرعهم، لإرضاء هوى نفسه ولإطفاء نار غله:

وَالْحَتْفُ كَالثَّائِرِ الْعَادِي يُصْرَعُنَا وَالْأَرْضُ تَأْكُلُ، هَلَا تَكْتَفِي الصَّبْعُ⁽¹⁾

2/الموت نار

وصف المعري الموت بنار أضرمت في ليلة باردة يحطب من شجرة السدر والغار، وهذه النار تأكل الأخضر

واليابس:

كَأَنَّهَا ذَاتُ قُرٍ أَطَعَمَتْ لِبِهَا مَا ضَمَّهُ الْعَطْبُ مِنْ سَدْرٍ وَمِنْ غَارٍ⁽²⁾

3/الموت حظ

بين المعري موقفه السلبي من الموت ونعت الموت بأنه حظ لمن تأمله فهو يقع على الإنسان بغتة دون سابق إنذار:

الْمَوْتُ حَظٌّ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَيَيْسَ فِي الْعَيْشِ إِنْ تُؤْمِلَ حَظٌّ⁽³⁾

مما سبق رأينا أن أبو العلاء المعري وصف الموت بصفات إيجابية، وهي: أن الموت طيب، وخير، وهو راحة، وأنه عادل، وهدوء، وأنه عيد، وفضيلة، وشفاء، وأنه يساوي بين الناس، وأنه فجر. ووصف الموت بصفات سلبية قليلة، وهي: أن الموت تائر، ونار، وحظ.

وبهذا كانت عواطف أبو العلاء المعري متعددة إزاء الموت، فهو أحب الموت ولكنه كان مجبرا في حبه هذا لأن الموت هو الحل الوحيد لديه للخلاص من شقاء الحياة وبلائها، وهذه العاطفة برزت أكثر بعد أن خبر الدنيا وبعد أن

(1) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص88.

(2) - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج 1، المرجع السابق، ص369.

(3) - أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 2، المرجع السابق، ص83.

أكثر من إيدائه، بينما عاطفة الكره والخوف من الموت والرغبة، كانت أول حياته، حيث لم تمسه الدنيا بكامل سمومها.

وفي ديننا، الحنيف الموت والحياة، هما مخلوقان من مخلوقات الله، متماثلان، يبتلي بهما الله الإنسان، ليرى أيهم أحسن عملاً، قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [المملك: 2].

وأن مصيبة الموت هي كمصيبة الحياة، قد تكون خير وقد تكون شر، فالمصيبة هي كل ما يصيب الإنسان من حسنة أو سيئة، وان للموت مذاق كما أن للحياة مذاق، كما قال الله عز وجل ﴿إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [المملك: 2].

خاتمة

في هذا البحث رأينا كيف أن الموت كموضوع تعرض لكثير من الدراسات والتعريفات من طرف العلماء والأدباء والنقاد فلمسنا بذلك تعريفات له في المعجمات العربية وغيرها وهذا يعكس مدى أهمية هذا الموضوع، فهو موضوع قديم ظهر في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي، العصر الذي ظهر فيه شاعرنا وقد فضل الموت على الحياة نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأثر عماء كذلك عليه.

واستطاع أبو العلاء أن يحدث تغيرا كبيرا في عصره بسبب ما حدث من تزاوج بين فريخته الشعرية وتفكيره الفلسفي وتجسد ذلك من خلال ديوانه اللزوميات، الذي تسارعت فيه أفكاره مع واقع مجتمعه فاعتزل الناس والمجتمع وذلك بالبقاء في بيته ملتزما بإياه بعيدا عن المشاكل مكبا على الدرس والتأليف، ولكن بقاءه في بيته لم يمنع الناس من زيارته في داره للاستفادة من علمه، أو الفصل في بعض القضايا الشائكة مثل ما لاحظنا عندما فصل في قضية أسد الدولة صالح بن مرداس حين طالبه قومه بالخروج ليشفع لدى هذا الأخير.

فاعتزاله كان سببا في زهده وورعه وخوفه من الله ومن حقيقة الموت بعد هذه الرحلة الشاقة في حياته وهذا ما شجعه على طلب الموت وتمنيه بعد ما كره ومل الحياة الدنيا بما فيها لأنها في نظره لا تبعث إلا على الشر فهي دار شرور مثلما قال المعري وعبر عن ذلك في لزومياته.

وختاما لهذه الدراسة يمكننا الاشارة إلى العديد من النتائج التي توصلت إليها من خلال تتبع موضوع الموت في شعر أبو العلاء المعري اللزوميات أمودجا، وتحليلهما في جملة من النتائج أهمها:

- الموت هو انقطاع الصلة بين الروح والجسد وانتقال جسم الكائن الحي من حالته المتحركة المتفاعلة مع الكون إلى دار الآخرة.

- ظهور الإسلام أنار القلوب وهدى النفوس وطهرها من مفاهيم العصر الجاهلي فهو نصر ساحق للإنسان المعذب على مصيره المجهول.

- كان للمعري عدة منابع استقى منها فلسفته منها: أنه نشأ في بيت علم وفضل، واطلعه على الديانة الإسلامية والشرائع السماوية، واطلعه على المذاهب الدينية السائدة في عصره، واطلعاها على الفلسفة اليونانية، ونزعتة التشاؤمية.

- هناك عدة عوامل أثرت في شهر المعري هي: فقدان بصره وعدم تكيفه مع المجتمع، والزهد في الحياة والنزعة التشاؤمية، واعتزال الناس.

- وضع المعري عدة افتراضات لماهية الموت في لزومياته وهي: الموت نوم طويل وداء معدي وهو حظ وفرض وغايه - تفضيل المعري للموت على الحياة واعتباره راحة وانتصار له ليس عبثيا وإنما معاناته وقسوة الدنيا هي التي دفعت به إلى ذلك.

- وضع المعري عدة صفات ايجابية للموت هي: الموت طيب وخير وراحة وعادل وهذا وعيد وفضيلة وشفاء وهو يساوي بين الناس وهو فجر، وضع صفات سلبية قليلة وهي: الموت ثائر، نار، حظ.

فالمتتبع لأبي العلاء المعري يمكن أن يدرك مدى الصراع الداخلي الذي يعانیه، والمطلع على لزومياته يرى ذلك بوضوح، فالحالة النفسية للشاعر جعلت منه يعيش حالة صراع دائما مع الحياة والموت بين حب الدنيا ومقتها والفرع من الموت والترحيب به، إلا انه في مرحله حياته الأخيرة أصبح يطلب الموت ويعجل بقدمه.

قائمة الملاحق

أولاً: التعريف بأبي العلاء المعري

"هو الشيخ العلامة شيخ الآداب"⁽¹⁾ أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان⁽²⁾، بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن مطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث⁽³⁾ القحطاني ثم التنوخي، المعري الأعمى، اللغوي، الشاعر، صاحب التصانيف السائرة⁽⁴⁾، وقد كان عجباً في الذكاء المفرط والمحافظة⁽⁵⁾.

حياته وعلمه

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مئة بالمعرة وجدر من السنة الثالثة من عمره فعلم منه، وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأني ألبست في الجدي ثوباً مصبوغاً بالعصفر ولا أعقل غير ذلك⁽⁶⁾.

(1) - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (1984 م). سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ج 18، ص 23.

(2) - الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (1983 م). بيتمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج 1، ص 9.

(3) - الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (2002 م). تاريخ بغداد تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، ص 240.

(4) - ابن الطيب الباخريزي، بن الحسين بن علي (1993 م). دمية القصر و عصرة أهل العصر، تحقيق: محمد التونجي، دار الجليل بيروت- لبنان، ط1، ج1، ص157.

(5) - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيك (1997 م)، الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، ج7، ص95.

(6) - المرجع نفسه، ص 96.

كان أبو العلاء من بيت علم وقضاء ورياسة وثناء، تولى جماعة من أهله قضاء المعرة وغيرها، ونيغ منهم قلبه وبعده كثيرون رأسو وساسوا، وكان فيهم الكاتب والشاعر، ولأهل المعرة اعتقاد كبير فيهم.

وقد نشأ أبو العلاء المعري بالمعرة وأخذ اللغة والنحو عن أبيه، وعن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب، وحدث عن أبيه وعن جده، ثم رحل إلى بغداد فسمع من عبد السلام بن الحسين البصري⁽¹⁾ وقد قيل أنه رحل أولاً إلى طرابلس وبها خزائن كتب موقونة، فأخذ من العلم، ثم رحل إلى بغداد بعد ذلك سنة 398 هـ قام بها سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى المعرة و أقام بها حتى وفاته⁽²⁾، ولما استقر بالمعرة لزم داره، وشرع في التصنيف والإفادة، وأخذ عنه الناس، وقصده الطلبة من الأفاق، وكاتبه العلماء و الوزراء وأهل الأقدار وسمى نفسه: "رهين المحسین"⁽³⁾.

وروى عن أبي العلاء أبو القاسم التنوخي، وهو من أقرانه، والخطيب التبريزي أنه كان أكله العدس، وحلاوته التين، ولباسه القطن، وفراشه اللباد، وحصيرة برد⁽⁴⁾ وقد اتفق محبوه ومبغضوه أنه كان وافر البضاعة من العلم غزير المادة في الأدب، إماماً فيه، وحاذقاً بالنحو والصرف، يسبح وحده في الذكاء والفهم وقوة الحافظة، أما في اللغة وحفظ شواهدا وتقييد أوابدها، فقد كان فيها أعجوبة من العجائب وحسبك أنهم إذا عدوا من رزقوا السعادة في أشياء، لم يأت بعدهم من نالها، عدوا ممن تفردوا بسعة الاطلاع على اللغة⁽⁵⁾.

(1) - تيمور، أحمد باشا (1976 م). أبو العلاء المعري نسبه و أخباره - شعره - معتقده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر ، الطبعة الثانية، ص 24.

(2) - السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (1964 م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة

العصري، صيدا-لبنان، الطبعة الأولى ، ج1، ص35.

(3) - أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (1850م). تقويم البلدان، تحقيق: المستشرق رينود، دار صادر، بيروت- لبنان، الأولى ، ص

(4) - الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج7، ص 108 الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج7، ص 108.

(5) - تيمور، أبو العلاء المعري نسبه و أخباره - شعره - معتقده، ص 39.

فلما دخل أبو العلاء بغداد أقبل عليه علماءها وأدباؤها، معجبين بفضته وسعة علمه، واختص بصحبته جماعة منهم، كأبي القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخي، وخازن دار العلم، والشريفين الرضي والمرتضي ابني أبي أحمد الموسوي وغيرهم. وكان المرتضى شديد الاختصاص به، وله معه مباحثات ومداعبات، وروى حضر مجلسه يومياً، وجرى على ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى، وجعل يتتبع عيوبه لبغضه له، وتعصبه عليه⁽¹⁾.

وفاته

توفي رحمه الله يوم الجمعة، ثالث وقيل ثاني وقيل ثالث عشر ربيع الأول سنة 449 هـ بالمعرة في خلافة القائم بأمر الله العباسي، وله من العمر نحو ست وثمانين سنة، ومرض ثلاثة أيام، ولم يكن عنده غير بني عمه، فقال لهم في اليوم الثالث: "اكتبوا عني، فتناولوا الأقلام، فأملى عليهم غير الصواب"⁽²⁾ فقال لهم القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: "أحسن الله عزائمكم الشيخ فإنه ميت. فمات من غده ودفن في مساحة من أهله"⁽³⁾.

(1) - الذهبي، المرجع السابق، ص 25.

(2) - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري () . الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج 8، ص 161.

(3) - تيمور، أبو العلاء المعري نسبه و أخباره - شعره - معتقده، ص 28.

فترة أبي العلاء البيئية والثقافة

1- البيئة

عاش الشاعر الفيلسوف أبو علاء المعزي ما بين سنتي (336-449) في فترة الانهيار السياسي من العصر العباسي، في زمن تصدعت فيه السيادة العربية نتيجة تكالب الحكام على السلطة، وتصارع المذاهب والقوى من أجل السيادة.

عاش شاعر الفلاسفة في نهاية هذه الفترات والبلاد العربية تعصف بها النزاعات، وتحزها الأعاصير، فكان الحكم في بغداد غيره في مصر، وفي بلاد الشام غيره في القطرين المتباينين، وهو في أقصى المغرب، غيره في الأندلس، وفي شمال إفريقيا غيره في الأقطار العربية الثلاثة.

كل شيء قد تعرض للميوعة والتفكك، ففسدت الحياة السياسية، وفسدت الحياة الاجتماعية حتى أصبحت الدنيا العربية وكأنها على بركان ... دول مختلفات المنازع والأهداف، قد انتشرت في الرقعة الإسلامية الكبرى نزعات فردية في إرهاب من المطامع الصارخة تجيش في كل صدر، جمعيات سرية تستهدف غايات مريبة، مذاهب جديدة هدامة ترمى إلى نزاعات سياسية خطيرة. كل شيء قد فسد واضطرب، وأبو العلاء ينظر إلى هذه التيارات الجارفة نظرة الفيلسوف الإنساني المتألم وقد أشفق - وهو الحكيم البعيد النظر - أن تنهار هذه الإمبراطورية الكبرى في الفترة التي وصلت فيها الحياة العقلية إلى الذروة، وأن يكون لبيئته النصيب الأوفر من مأساة هذا الانهيار⁽¹⁾.

استيقظ أبو العلاء في بيئة سياسية كان إذا مات فيها الأمير، مؤسس الدولة الإقليمية، وخلفته ذرية ضعاف، ضاع التدبير وانهار الملك بعد أعوام قد تعد بالعشرات ... كل قائد يبلغ مبلغ القوة، يستطيع أن يخرج على الأمير إذا

(1) - مجموعة من الباحثين، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دار الصادر، بيروت، د. ط، د. ت، مقال لسامي الكيلالي، ص 179.

اشترى تأييد الخليفة وكل مظهر من مظاهر الضعف في ولاية الأقاليم، يعالجه الطامحون من جندهم ومواليهم، أو جيرانهم ومنافسيهم، بضربة يباركها خليفة المسلمين.

وكل عرش يموت أميره تتناول إليه أعناق ذوي القوة، ولا على القوي أن يظأ الرؤوس ويخوض في الدم، مادام في حسابه أن تؤيده بغداد بصك شرعي⁽¹⁾.

كانت بغداد عاصمة الحكومات الإسلامية في عصر أبي العلاء، وكانت خاضعة لقبيلة ديلم أو للأسرة البويهية التي حكمت العراق وفارس، وكان قيامهم ببغداد واستنثارهم بأمر الخلفاء قد جعل دولتهم أبعد الدول الآسيوية في هذا العصر صوتاً وأطيرها ذكراً⁽²⁾.

وأما الشام - وهي البيئة الأصلية لأبي العلاء - فكانت مسرحاً لفتن وحروب متعاقبة لعل أقربها إلى عهده تلك الحروب والغزوات التي أثارها الأمير سيف الدولة توطيداً للكيان العربي وصوناً لثغور الشام من الغزو البيزنطي وإذ كانت الأيام لم تسعد المعري أن يرى المجد الشامخ الذي شاده الأمير الحمداني في السياسة القومية، والحياة العقلية، فقد شاهد - وهذا ما زاد في محنته - لونا من ضعف السياسة، وفساد الرأي في ابنه سعد الدولة، وفي حفيده أبي الفضائل، و إذا تركنا الكلام عن ابن سيف الدولة لأن ملكه لم يطل ولم يتميز بالأحداث الخطيرة، فنرجو أن يطول حديثنا قليلاً عن حفيده أبي الفضائل، فقد انتهى حكم الدولة الحمدانية، والدنيا العربية على ما وصفنا، ولم يكن أبو الفضائل كجده بل كانت مطامحه منحصرة بالملك دون أن يعطى للمملكة حقها من التضحية والبذل، أي كان يريد أن يحتفظ بصولجان الملك رخيصة، وكانت أهدافه تخلف كل الاختلاف عن أهداف جده، هذا يفكر بمجد أمته وبلاده، وذاك بمجده الشخصي، والفرق جد بعيد بين الاتجاهين ... وإذا كانت بلاد الشام تتمتع بالحكم الذاتي على

(1) - عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1972م، ص 107.

(2) - طه حسين، المرجع السابق، ص 46.

أيدي أمراء مختلفي المنازع و الأهواء، فقد فكر الفاطميون بضمها إلى مصر لاسيما بعد أن تضاءل سلطان بغداد الروحي كما تضاءل سلطانها السياسي⁽¹⁾.

وقد عزز هذه الفكرة الرغبات التي أثارها بعض زعماء حلب الناقمين على حكم أبي الفضائل من جهة، وإغراء الوزير المغربي للخليفة الفاطمي بوجود الاستيلاء على حلب وأطرافها من جهة أخرى، ونزلت هذه الرغبات من نفس عزيز مصر منزلة طيبة فجهاز حملة كبرى إلى بلاد الشام لضمها إلى المملكة الفاطمية وناط أمر هذه الحملة بأحد غلمانه الأتراك الذي استطاع أن يخضع البلاد الشامية كلها دون حلب التي امتنعت على مصر⁽²⁾.

ونجد كتب التاريخ تقص لنا أحداثا وحروبا دامت لمدة أربع سنوات كاملة بين البيزنطيين والفاطميين، كان يكتب فيها النصر للفاطميين مرة والبيزنطيين مرة أخرى.

والأديب رجل تعاف نفسه شرور السياسة، وشرور الحروب والقتال ... وقد فكر في بقعة تكون بمعزل عن هذه الشرور، فرأى بغداد أهدأ حالا من الشام، وهي إلى هذا كعبة العلم والأدب، فشد إليها الرحال ومكث فيها سنة وبعض سنة، فما الذي أفاده من هذه المرحلة التي تركت في نفسه أجمل الذكريات؟ لقد خرج بفكرة لا غموض فيها، وهي أن الإنسان بالرغم مما ناله من كرم البغداديين ... هو في جبلته وطبيعته، وأن الحكام هم في كل مصر ووطن، وانتهى إلى الرأي الذي يتلاقى وروح فلسفته الحزينة التي تقوم على الشك واليأس.

إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان

ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان⁽³⁾

(1) - سامي الكيال، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص 181.

(2) - المرجع نفسه، ص 181.

(3) - المرجع نفسه، ص 47.

وقد أدى ذلك الصراع السياسي إلى آثار سلبية في المجتمع، ودفع إلى توزع المجتمع إلى ثلاث طبقات أساسية: طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة والتجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان ... وطبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار ... ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق⁽¹⁾.

في قلب هذه الصراعات السياسية وذلك الفساد الاجتماعي عاش أبو العلاء، ومما لا شك فيه أن تلك البيئة قد عملت عملاً غير قليل في تكوين الفلسفة العلائية، فلا بد من فهمها إذا حاولنا أن نفهم أبا العلاء، ونحن إذا فهمنا هذه الحياة السياسية السيئة، وقرناها إلى غيرها من الأسباب التي اشتدت في تكوين هذا النسيج الفلسفي الذي تمثله اللزوميات⁽²⁾، نكون قد استطعنا حقاً فهم أبا العلاء.

فأبو العلاء أديب حساس، وشاعر عميق التفكير، وفيلسوف حر ذو نظرة نافذة، رأى وطنه نهباً للأهواء والشهوات، ورأى البلاد العربية وقد انتهت إلى ما انتهت إليه من الضعف، والاضطراب والفوضى، بديهي أن يؤثر ذلك في أدبه، وأن تشيع روح السخرية في هذا الأدب.

كان حكيم المعرة يفكر دائماً في الهجرة إلى بقعة من الأرض العربية تخلو من فساد عصره وحاول التخلص من تلك المآزق ولكن:

كيف التّخلص والبسيطة لجة والجو غيم بالتّوائب يسجم
فسد الزّمان فلا رشاد ناجم بين الأنام ولا صلال منجم⁽³⁾

(1) - شوقي ضيف، المرجع السابق، ص53.

(2) - طه حسين تحديد ذكرى أبي العلاء، المرجع السابق، ص64

(3) - سامي الكيلالي، المرجع السابق، ص184

إلى أين يذهب وكل أرض قد ملئت بالمفاسد والشورور؟ قبع في بيته في سجنه الضيق، وأخذ يرسل صيحاته الصادقة في تصوير طباع البشر... وليس كالمعري أديب شاعر عرف سجايا النفس البشرية وطواياها فوصفها أبلغ وصف، كما وصف هذه الشهوات التي كانت لا تعرف غير التَّهَب والاستلاب، فكان رغم عزله ذا اتصال مباشر بهذه القضايا التي تشغل الشعب سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخلقية⁽¹⁾.

ففي اللزوميات وفي رسائله تقرأ الكثير من هذه اللزمات التي تصف اضطراب السياسة وسوء الإدارة وفساد الحكم والمجتمع وسوء تسيير الخزائن الاقتصادية. هذه السياسة المضطربة التي غمرت بيئته وكل بقعة من الأرض العربية، هي التي كانت تستثيره ليصف الأهواء الجامحة.

يسود الناس زيد بعد عمرو كذلك تقلب الدّولات دوله
ومن شر البرية رب ملك يريد رعية أن يسجدوا له

ولعلّ تلك السياسة المضطربة وذلك المجتمع المنهار هو الذي دفع أبا العلاء أن ينظر إلى الدنيا تلك النظرة السوداء وأن يراها على حقيقتها وأن يرى شرورها أغلب...

عرفت سجايا الدّهر أما شروره فنقدُ وأما خيره فوعود
إذا كانت الدُّنيا كذلك فخلها ولو أنّ كلّ الطّالعات سعود
رقدنا ولم نملك رقادا عن الأذى وقامت بما خففا ونحن قعود⁽²⁾

(1) - سامي الكيلالي، المرجع السابق، ص 184

(2) - المرجع نفسه، ص 186.

نعم كان لتلك البيئة الأثر الكبير على أدب أبي العلاء كيف لا ونحن نجد تلك الأحداث التي واجهت عصره، هي التي جرّته إلى العزلة، تلك العزلة التي أنتجت للأدب الحي ثروة خالدة، ترمز إلى جبروت العقل العربي الذي لا يقل في خياله وإبداعه عن أسمى العقول التي عرفت آداب البشرية⁽¹⁾.

ذلك هو الأدب العلائي الذي يعتبر نسيج وحده بين آداب الأمم الحية، والذي يرى فيه الباحثون الكثير من الآراء والفكرات والصور التي تتلاقى مع أصدق ما خلّده أكابر أدباء العالم في مختلف العصور نعم إننا نجد مثلاً في حدائق أبي العلاء العابسة الكثيبة تشاؤم شوبنهاور.

ونجد فلسفته لم تقف عند واحات الزهد والعزلة بل تعدتها إلى الأخلاق والسياسة والاجتماع والدين والإنسان والخالق، فأبدى رأيه صريحاً في جميع ظواهر الحياة ما ظهر منها وما استتر⁽²⁾.

2- الثقافة

إذا كان عصر أبي العلاء هو عصر الانهيار السياسي، فإنه على العكس من ذلك في جانبه الثقافي فقد كان من أزهى عصور الحضارة العربية ثقافة، وبدأ العربي في وعي التفتح الجديد يتطلع إلى العلوم تطلع المتشوق إلى المعرفة، الظمآن إلى اكتناه حقائقها⁽³⁾.

ولا عجب أن تزدهر الثقافة في زمن أبي العلاء إذ لقيت من جهة، قلوباً متعطشة إلى الرقى، ومن جهة أخرى اندفاقاً ثقافياً جارفاً⁽⁴⁾.

(1) - سامي الكيلالي، المرجع السابق، ص 188.

(2) - المرجع نفسه، ص 189.

(3) - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1986، ص 522.

(4) - المرجع نفسه، ص 523.

بالإضافة إلى ذلك التمازج العنصري الذي كان من الجيل الجديد ذو أخلاق وعادات جديدة، وكان منها تلقيح العقول والأقلام والأذواق، دون أن ننسى حركة النقل والترجمة التي امتدت على أوسع نطاق، فكل هذه الأسباب تركت أثارا عميقة في اللغة والأدب والعلم.

ويرى الكثير من الباحثين و على رأسهم "طه حسين" أنه لا سبيل إلى القول بتلازم الانخيار الثقافي بالانخيار السياسي، أي لا يمكن القول بأن الانخيار السياسي يؤدي إلى نتيجة حتمية ألا وهي الانحطاط الثقافي، فهذه القاعدة التي بني عليها مؤرخو الأدب تقسيماتهم للعصور الأدبية خاطئة من هذا الوجه، ولعمري أن عصرا ينبع فيه من الشعراء: الرضي، والمتنبي، وأبو العلاء، ومن الكتاب ابن العميد، وابن عباد، ومن الأدباء أبو هلال ... والآمدي، والجرجاني، ومن النحويين: ابن خالويه، وابن جني و أبو علي الفارسي والسيرافي، عصر ينبع فيه هؤلاء وغيرهم ... لخلق أن يكون عصر رقي ونهضة لا عصر ضعف وانحطاط في العلوم والآداب⁽¹⁾.

ويرى الباحث خليل شرف الدين أنه من الطبيعي أن ينهار كل شيء في العصر العباسي الثالث - وهو عصر أبي العلاء - كدولة ومؤسسات ومجتمع، وأن يزدهر - في الوقت نفسه - كل شيء من أشياء الفكر فتبلغ الفلسفة أوجها، ومعركة علم الكلام نهايتها، والشعر قمته، والنثر أعلى مراقبي بلاغته، وأنقى صورته، فأصبح وكأنه فسيفساء ترصع بها جدران الأدب العربي، وسقوف منزله، بالرغم من أن سكان هذا المنزل بدءوا يغادرونه واحد بعد واحد ... أما العلوم وهي الوجه الآخر للفكر، فقد حققت في هذا العصر نصرا مبينا لاسيما في ميادين التطبيق والممارسة⁽²⁾.

(1) - طه حسين، المرجع السابق، ص38.

(2) - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، د. ط، 1995، ص7.

وكانت نقطة التحذب أو قمة العطاء في هذه الدائرة الذهبية ممثلة بهذا العصر أو قريب منه، كما كانت القمة نفسها نذيرا بالانحدار الوشيك، إذ ما لبثت أن تخلخلت وتصدعت ومال بها حملها نحو الحضيض السحيق، فهوت رغم تماسكها زمنا امتد حتى ابن الرشد في الفلاسفة والمعري في الشعراء... وابن عربي... في الصوفيين⁽¹⁾.

فظاهرة الازدهار تحمل دائما في طيات أسرارها، جرثومة الانهيار، والمجتمع كالإنسان خاضع لقانون التطور، الطبيعي، فلم يكن غريبا أن يرافق الانهيار الازدهار، أو يتولد عنه وفقا لمبدأ العلة والمعلول أو حتمية ظهور الشيء متى توافرت أسبابه⁽²⁾.

أبو العلاء إذن ظاهرة طبيعية من حيث مفهومنا لقانون التطور في المجتمع والفكر إذ من الطبيعي أن يمثل أبو العلاء في عالم الشعر والفكر والنثر منتهى درجات التطور التي بلغها العرب في ذلك العصر، وأن يمثل في الوقت نفسه جرثومة ذاك الانهيار. لكنه ظاهرة غير طبيعية أو هو نسيج وحده حين نقيسه بإنسان عصره: رجل دين كان هذا الإنسان، أو سياسة أو فكر أو سلوك.

لم يتعامل شاعرنا من ناس عصره ليكتشفهم أو يغريهم أو يستغلهم أو يصل من خلالهم كما فعل المتنبي - على عظمة و إيجابية ما فعل أبو الطيب - بل رثى لهم وتعامل مع نفسه أولا ثم مع الوجود مباشرة فبدا له الموجود بالنظر التأملي الثاقب سخيفا ورائعا في آن ... سخيفا عندما ينقلب المسخ بطلا في غفلة من الزمن ويظن القزم نفسه عملاقا ... ويتصرف كل منهما على هذا الأساس سخيفا حين يزيغ الحكام وظيفتهم فينقلبون جلادين للشعب بدل أن يكونوا أجراءه ... سخيفا يوم يرى رجال الدين يمشون في الناس بأثقالهم وأوزارهم... ويتخذون من الدين مطية مجرد مطية ... حتى يستدعي الأمر الشك بالدين نفسه، سخيفا عصر تتقلب المقاييس وتتطاحن القيم، والقيمون عليها شاهدوا زور، ورائعا... حين يرفض العقل كل هذا أو يتحرر من كل هذا فينقلب إنسان هذا العقل

(1) - خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص8.

(2) - المرجع نفسه، ص9.

نموذجاً ... بعد أن كان ظلاً وربما بعد أن كان اسماً و بضعة من حياة رائعا حين تسمع أبا العلاء يحس أنه قادراً على التعبير و التغيير و يحاول التفجير و التدمير و سلاحه لا سلاح سوى العقل - الكلمة - والكلمة قبلة، كل سلاحه موقف ولا حياد وسخرية ولا تجريح، ورناء ولا بكاء⁽¹⁾.

في ذلك العصر الثقافي المتميز من عصور الحضارة العربية وقف أبو العلاء شاعراً متأملاً وفيلسوفاً متحيزاً، فزاد عصره تميزاً بل وتميز من عصره فأبصر ما لم يستطع المبصرون أن يروه أو لعلمهم رأوه لكنهم أغمضوا عيونهم عنه زلفى أو دجلاً أو رياءً أما هو فقد أبصر ولم يغض طرفه وكان صادقاً مع نفسه حين كذبوا هم مع أنفسهم وريهم وحققتهم⁽²⁾.

في تلك الفترة خرج الشعر على يد أبي العلاء من دائرته القديمة الضيقة دائرة العبث والفردية والقبلية والمدح والارتزاق الرخيص، ليدخل دائرة أوسع، مداها الكون والإنسان حيث يتم تسجيل المواقف من القيم والحقائق وكشف الزيف فيها بقصد التغيير، والدائرة العالمية للشعر.

لم يعد الشعر على يد أبي العلاء وسيلة للعيش الرخيص، أو الكذب المغلق والشتم الصبياني الأخرق بل أصبح وسيلة للفكر المتأمل وبوتقة يسكب فيها الوجدان الصادق وتعبير مشع عن حقائق الوجود والموجود ونقدا ساخراً لكل ما يشوههما⁽³⁾.

(1) - خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص12.

(2) - المرجع نفسه، ص31.

(3) - المرجع نفسه، ص31.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- سورة آل عمران: الآية 144، 145، 154، 169، 170، 171، 185، 195.
- سورة الأحزاب: الآية 16.
- سورة الإسراء: الآية 85.
- سورة الأنعام: الآية 2، 61، 162.
- سورة البقرة: الآية 6، 8، 30، 94، 96، 179.
- سورة الجمعة: الآية 6، 8.
- سورة الدخان: الآية 8.
- سورة الزمر: الآية 30.
- سورة السجدة: الآية 10، 11.
- سورة الملك الآية: 1 - 2.
- سورة المنافقون: الآية 10.
- سورة النساء: الآية 18، 78.
- سورة الواقعة: الآية 84، 85، 86.
- سورة فاطر: الآية 9.
- سورة ق: الآية 22.
- سورة لقمان الآية: 34.
- سورة يونس: الآية 49.

السنة النبوية

- الإمام مالك، كتاب الموطأ، ج2.
- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، 2002، بيروت لبنان.
- البيهقي، في كتاب الزهد الكبير وصاحب كنز العمال.
- الفصل في الملل، لابن حزم: ج3.

المصادر

- أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د.ط، 1924م.
- أبي العلاء المعري، اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج2، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د.ط، 1924م.

المعاجم

- إبراهيم أغيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط2، 1392 هـ \ 1982م، مادة (موت).
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج4، ج14، دار صادر، بيروت، ط2001، (مادة موت)، ص ص 147، 148.
- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، 2004م.
- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات.

المراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ج8.
- ابن الطيب الباخري، بن الحسين بن علي (1993 م). دمية القصر و عصرة أهل العصر، تحقيق: محمد التونجي، دار الجيل بيروت- لبنان، ط1، ج1.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (1850م). تقويم البلدان، تحقيق: المستشرق رينود، دار صادر، بيروت- لبنان، الأولى.
- أبو عبد الله العلابي، المعري ذلك المجهول رحلة في فكره وعالمه النفسي، دار الجديد، ط3، 1995.
- أبو نصر محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1995.
- أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه وأخباره وشعره ومعتقده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د، ط)
- 1940.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (1983 م). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج1.
- الحبيب حمادي: المعري وجوانب من اللزوميات، الدار التونسية للنشر، النشرة الثالثة، مارس 1984.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (2002 م). تاريخ بغداد تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (1984 م). سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ج 18.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (1964 م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصري، صيدا-لبنان، الطبعة الأولى، ج1.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 108 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1997 م)، الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، ج7.
- امرئ القيس، الديوان، تح مصطفى الشاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ \ 2002 م.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، تح محمد عثمان، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971 م، مادة (موت).
- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء وعمر الخيام الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2003م.
- تيمور، أحمد باشا (1976 م). أبو العلاء المعري نسبه وأخباره- شعره- معتقده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية.
- جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، تح كامل يوسف حسين، دار المعرفة، الكويت، 1984 م، ص47.
- جعفر خريباتي، أبو العلاء المعري رهين المحبين، دار الكتب العلمية، ط 1، 1986، بيروت.
- حسين أحمد عبد الحميد عبد السلام الموت في الشعر الجاهلي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة - مصر، 1991م.
- حليف مي يوسف، الشعر النسائي في أدبنا القديم دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس.
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1986.
- خليل شرف الدين في سبيل موسوعة فلسفية أبو العلاء المعري، دار مكتبة الهلال، د. ط، 1995.
- خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، د. ط، 1995.

- دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، الملحق4، 2016، هدى محمد قزح التجربة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعري الموت أتمودجا.
- سامي الكيالي، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري.
- سناء الخضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية_مصر، دط، دت.
- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1975.
- طرفة بن العبد، الديوان، تح: محمد حسن ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2002 م.
- طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، مصر، ط6، 1963م.
- طه حسين، تح مصطفى المتقا، عبد الرحيم محمود عبد السلام، هارون إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد: ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1965م.
- طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، ط10، د. ت، مصر.
- عائشة عبد الرحمان، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1972م.
- عائشة عبد الرحمان، مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، ط1، 1972، بيروت، لبنان.
- عروة عمر الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، دروس، ديوان المطبوعات الجامعية، (د)، (ط)، 2010 الجزائر.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، 1972م.
- قاسم محمود، النفس والعقل عند الفلاسفة الأغريق والإسلام، مكتبة الأنجلو، القاهرة، مصر، 1956 م.
- كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري الجامعة الأمريكية، بيروت - لبنان، د. ط، 1942م.

- مجموعة من الباحثين، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دار الصادر، بيروت، د. ط، د. ت، مقال لسامي الكياللي.
- محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقييمه، ج 1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- محمد سليم الجندي، الجامع في أخبار أبي العلاء، ج 1.
- مختار حمزة، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات.
- مصطفى فهمي: مجالات علم النفس دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت، القاهرة.
- نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1995.

مذكرات تخرج

- رمضان محمود كريم، شعر المعري من منظور القراءة والتأويل أطروحة مجلس ابن رشد، د. ط، 2002، جامعة بغداد.

المجلات

- رجب عبد الله، الموت والخوف منه عند الفلاسفة الإغريق والإسلام، مجلة جامعة الأنبار، العدد 4 2009.
- محمد بك عبد الحميد، عدد خاص عن أبي العلاء المعري، مجلة الهلال، 1938، ج 8.
- محمد عبد الله عنان، وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده، مجلة الهلال، ج 8، مج 46، القاهرة - مصر، 1938م.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
.	شكر و عرفان
.	اهداء
.	قائمة المختصرات
أ.ب	مقدمة
الفصل الأول: مقارنة في مفهوم اللزوميات والموت	
1	تعريف ديوان لزوم ما لا يلزم للمعري
4	مقاربة في مفهوم الموت
4	أولاً: مفهوم الموت
4	1-1- الموت لغة
5	1-2: اصطلاحاً
6	ثانياً: هاجس الموت في الأدب والفلسفة.
6	1 - هاجس الموت في الأدب
9	2- هاجس الموت في الفلسفة
12	ثالثاً: الموت في القرآن الكريم والسنة النبوية
12	1- الموت في القرآن الكريم
13	الوفاة الصغرى في القرآن

13	الموت أجل محدد
15	ملك الموت في القرآن
16	سكرات الموت في القرآن
17	2- الموت في السنة النبوية
الفصل الثاني: البعد الوجودي للزوميات	
22	البعد الوجودي للزوميات
22	منابع فلسفة أبي العلاء المعري
22	1 - اطلاع أبي العلاء على الديانة الإسلامية والشرائع السماوية
22	أ/ الديانة الإسلامية
23	ب/ اطلاعه على اليهودية والمسيحية
24	2- اطلاع أبي العلاء على المذاهب الدينية السائدة في عصره
25	أ المذهب الحنفي
25	ب الشيعة
28	3/ اطلاعه على الفلسفة اليونانية
29	4- نزعة أبي العلاء التشاؤمية
31	العوامل التي أثرت في شعر أبي العلاء المعري
31	(1) فقدان بصره وعدم تكيفه مع المجتمع
37	(2) الزهد في الحياة والنزعة التشاؤمية
44	اعتزال الناس

الفصل الثالث: ماهية الموت وصفاته من خلال لزوميات المعري

50	ماهية الموت عند المعري من خلال لزومياته
50	(1) الموت نوم طويل
50	(2) الموت داء معدي
51	(3) الموت حظ
52	(4) الموت فرض
53	(5) الموت غاية
53	(6) الموت منزل النعم
54	ثنائية الموت والحياة في لزوميات المعري
54	(1) دم الحياة وشقاؤها
58	(2) الموت راحة
62	صفات الموت في لزوميات أبي العلاء المعري
64	1- صفات الموت الإيجابية
67	2- صفات الموت السلبية
71	خاتمة
74	قائمة الملاحق
87	قائمة المصادر والمراجع
94	فهرس المحتويات
97	ملخص

يعتبر موضوع الموت من بين الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى دراسة وتحليل، خاصة إذا كان يخص شاعر مميز مثل أبي العلاء المعري، هذا الشاعر الذي اهر بأسلوبه ومهاراته كل من سمعه، لذلك اجريت الدراسة حوله وفق منهج موضوعاتي، يساعد على الكشف عن مختلف الموضوعات الفرعية التي تنتمي إليه وتنحدر منه في ديوان اللزوميات بجزئيه، وكأي دراسة تحتاج إلى الخوض والتفصيل فيها إلى مقدمه، ثم الفصل الأول الذي يحوي تعريف اللزوميات والموت، أما الفصل الثاني فيحوي منابع فلسفه المعري وكذلك العوامل التي أثرت في شعر المعري، والفصل الثالث انصبت الدراسة فيه حول ماهية الموت وصفاته من خلال لزومياته، وهكذا يكون البحث قد اكتمل وقد خص جوانب عديدة عرفت، مثل ما هو ملاحظ في فصول البحث ناقشت وعقبت وحللت ديوان المعري.

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء المعري، الموت، اللزوميات.

summary

The subject of death is considered among the important topics that need study and analysis, especially if it pertains to a distinguished poet such as Abu Al-Ala' Al-Ma'arri, this poet whose style and skills dazzled everyone who heard him. She belongs to him and descends from him in the book of the imperatives in its two parts, and like any study that needs to be delved into and detailed in it to its introduction, then the first chapter that contains the definition of the imperatives and death, while the second chapter contains the sources of Al-Ma'arri's philosophy as well as the factors that affected Al-Ma'arri's poetry, and the third chapter focused the study on what Death and its attributes through necessities, and so the research has been completed and has singled out many aspects known as what is observed in the chapters of the research discussed, commented and analyzed Diwan al-Ma'ari.

Keywords : Abu Alaa Al-Maari, death, indispensables